المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٥

السر هنري روسكو

Sir Henry Roscoe

فقد الانكليز في اوائل هذه الحرب عالمين كبيرين وكيماويين مشهورين السر هنري روسكو والسر وليم رمزي · اتفقا في براعتهما الكيماوية واختلفا في اميالهما السياسية

فان السر وليم رمزي كان عدوًّا لاساليب الالمان كما يظهر من مقالاتهِ الكثيرة التي نشرها في مجلة ناتشر لا يكاد يعترف لهم بفضل · ومن اقوالهِ المأثورة ان الغرض الذي يرمي اليهِ الالمان هو سيادة الخاصَّة على العامَّة وهم مكروهون في معاملاتهم فان اساليبهم بعيدة عن الانصاف وكلامهم لا يوثق بهِ حتى رجال العلم منهم لا يبرأون من ذلك · وقد نقلنا عنهُ في مقتطف نوفمبر ١٩١٤ قولهُ « ان الالمان يعاملون الضعيف منهم بالشدَّة الى ان يقوى او يموت ولذلك قوي مجموعهم وصار غرضهم الذي يرمون اليهِ التسلط على المسكونة وعندهم انهم اذا تسلطوا عليها اصلحوها · وقد صار هذا رأي كل طبقاتهم وهو الذي قادهم الى هذه الحرب وهم يتوسلون بكل وسيلة لنيل هذه الغاية حقًّا كانت او بطلاً

« امَّا هذه آراؤُها وهذه مطالبها لا يستطاع الصبر عليها · لا مشاحة في ان الالمان وسَّعوا العلوم والفنون ولبعض افرادهم شهرة واسعة وفضل لا ينكر ولكن الابتكار قليل عندهم وجهد ما يفعلونهُ انهم يتناولون مكتشفات غيرهم ومخترعاتهم ويستخدمونها في الاعمال ويجرون فيها على اساليب من الدقة والتقييد تنطبق على طبعهم المشار اليهِ آنفاً كأنهم جنود في جيش عامل · ويقال ان آدابهم في التجارة ليست الآن على ما يرام فلا يوثق بكلامهم ولا يركن الى معاملتهم · وهم في العلم غير معصومين من هذه المعرَّة وعليهِ فهم عائدون الى

البربرية رغماً عن دعواهم انهم متفوقون في العمران. وفعال جنودهم القبيحة كقتل الابرياء غير المحاربين وتخريب المباني الفاخرة ومعاملتهم النساء والاولاد باشد انواع القسوة كل ذلك من مظاهر طباعهم

« ولذلك فهذه الحرب التي اثارتها المطامع تناولتها المروءة فضربت بها الفظاظة والمبادىء فضربت بها الاغراض وتناولها الحق فضرب بها الباطل. وتدلُّ الدلائل الآن على ان النصر سيعقد للحلفاء ويكون الفوز للعدل والرحمة. ويجب ان يكون شعار الحلفاء منع الحرب بتاتاً في المستقبل ونزع الاستبداد الذي نخر آداب الامة الالمانية كالآكلة حتى لا ينمو ثانية

« ولا خوف من ان العلم يضعف بضعف الالمان لان ليس لهم فيهِ شأن كبير بل قد يقوى بتقليل ادعيائهِ. واكثر ما ينسب الى الالمان يجب ان ينسب الى الاسرائيليين الذين سكنوا بلادهم. ونحن واثقون ان الشعب الاسرائيلي يستمرُّ في خطتهِ ويتابع اشغالهُ العلمية والفلسفية »

اما السر هنري روسكو فكان رأيهُ في الامة الالمانية مخالفاً لرأي السر وليم رمزي

ولد في ٧ يناير سنة ١٨٣٣ ويتم من ابيهِ وعمرهُ اربع سنوات فربتهُ امهُ وربت فيهِ الميل العلمي فدرس في مدرسة لندن الجامعة ونال شهادة بكالوريوس في العلوم ثم مضى الى جامعة هيدلبرج بالمانيا حيث كان بنصن الكيماوي استاذاً للكيمياء وكان في اوج شهرتهِ حينئذٍ واليهِ ينسب توجيه اميال روسكو الى قرن علم الكيمياء بالعمل. فدرس هناك ثلاث سنوات وعاد الى انكلترا معجباً بالالمان. وبعد سنة جُعل استاذاً للكيمياء في كلية منشستر خلفاً للاستاذ فرنكلند فاقام في هذا المنصب ثلاثين سنة واليهِ ينسب الفضل في جعل الكيمياء علماً عملياً في البلاد الانكليزية وكان يعترف دائماً بفضل استاذهِ بنصن عليهِ. وكانت المودة محكمة بينهُ وبين كثيرين من علماء الالمان مثل منغس وروز وهلمهلتز وكوب وكشهوف وكونكي. ثم لما جعلت العلاقات تتوتر بين انكلترا والمانيا استاء من ذلك وكتب يقول انهُ اذا نشبت حرب بين هاتين الامتين المتصلتين نسباً وعقلاً كان ذلك من اعظم البلايا على العمران. وقضى ايامهُ الاخيرة وهو آسف كاسف البال حاسباً ان مصالح العلم ستداس بهذه الحرب

ومؤلفات روسكو كثيرة فكتابهُ الكبير في الكيمياء ظهر في مجلدات كثيرة وهو اوسع ما كتب في الكيمياء حتى الآن. وكتابهُ الصغير في مبادىء الكيمياء يدرَّس في المدارس لانهُ جمع فاوعى على ما فيهِ من الاختصار. وكتابهُ في الحل الطيفي من اوسع ما كتب في بابهِ. ولهُ مباحث دقيقة في الفناديوم والنيوبيوم والتنجستن والاورانيوم وما اشبه من العناصر الكيماوية

الولايات المتحدة الاميركية والحرب

أَغرورٌ واعتداد بالذات ام تقدير وتدبير حمل الالمان على ابداء العداء للولايات المتحدة الاميركية وتحدّيها يوماً بعد يوم حتى اضطرت ان تمتشق الحسام وتنضم الى الحلفاء في هذه الحرب الزبون . المرجح عندنا ان الغرور هو الحامل لهم على ذلك

وما نرجحهُ نحن يكاد الالمان انفسهم يرجحونهُ كما يظهر من اختلاف لهجتهم الآن عنها قبل هذا الانضمام ولاسيما بعد ان حبطت مساعيهم في بلاد المكسيك التي استفزوها لمشاغبة الاميركيين ومحاربتهم . وقد بان لهم الآن انهم اخطأوا في اعتمادهم على المكسيك كما اخطأوا في تقديرهم الاول وهو الوصول الى باريز والقضاء على قوة فرنسا في بضعة اشهر ثم القضاء على قوة روسيا والعودة الى انكلترا . والظاهر انهُ لولا ثقتهم بالفوز العاجل ما اضرموا نار هذه الحرب بل سعوا مع الساعين الى الاتفاق على ما يريح الامم من النفقات الحربية ويضمن لها السلام سنين كثيرة . ومن المحتمل انهُ لو اتفقت الدول على ذلك لأَيَّدت مبدأ اهتضام القوي للضعيف الذي لا يستطيع المقاومة وجرت على فلسفة الالمان وهي القضاء على مَن ليس في عرفهم صالحاً للبقاء او استخدامهُ في مصالحهم كالبهم البكماء

وعسى ان يكون من انضمام الولايات المتحدة الى الحلفاء اكبر ضامن لفوز العدل على الظلم والحرية على الاستبداد

والولايات المتحدة اكبر البلدان المتمدنة واغناها بلا نزاع يزيد عدد سكانها على مئة مليون من النفوس لكنها لما اعلنت اشتراكها في هذه الحرب في ٤ ابريل الماضي كان جيشها اقل من جيش سويسرا ولم يكن في اسطولها طراد واحد من نوع الدردنوط ولم يكن فيهِ من الطرادات السريعة سوى ثلاثة ولم يكن عندها من الغواصات العاملة سوى خمسين وعند الالمان فيما يقال ٣٢٥ غواصة

لكن الشعب الاميركي هو مصدر قوتهِ الفائقة بعلمهِ وحزمهِ . وقد يقال ان خمسةً من اصل الماني وهؤُلاء قد يمالئون الالمان على الحلفاء . والعدو الداخل اقوى على الضرر من عشرة اعداء خارجين . ولكن يقال ان الذين اظهروا ميلهم الى الالمان لا يزيدون على خمسة في المئة وقد كان ذلك قبل الحرب حينما كانت الدعوة الالمانية في اوجها فلما ضعف شأنها انكفأ اكثرهم عنها . وقد اعتمدت الحكومة الاميركية على جعل التجنيد اجبارياً واحصت

الرجال الذين سنهم بين الحادية والعشرين والثلاثين فبلغوا عشرة ملايين فعزمت ان تختار منهم اولاً مليونين تدرب منهم خمسمائة الف فخمسمائة الف أُخرى وهلم جرًّا ثم تختار مليونين آخرين ومليونين بعدهما الى ان تضع الحرب اوزارها . وإعداد العدد الكافي من الضباط والقواد لهذا الجيش العرمرم صعب جدًّا ولكنهُ ليس اصعب على الاميركيين مما كان على الانكليز منذ ثلاث سنوات . فان ابناء المدارس الاميركية مثل ابناء المدارس الانكليزية ربوا لكي يكونوا ضباطاً بقليل من التدريب . والشاب الاميركي ينشأ على حب الالعاب الرياضية فيركب الخيل و يطلق الرصاص ولا ينقصهُ شيء من الصفات العسكرية وهو شديد النجدة لا يحجم عن خصام اذا لزمت لهُ قوة . فلا خوف اذاً من قلة الجنود او عدم استعدادهم او تعذر وجود الضباط لهم

اما الاسطول فامرهُ اسهل من امر الجيش لان الاسطول الاميركي كان من الاساطيل القوية ليس فيهِ طرادات من نوع الدردنوط ولكن كان فيهِ ٢٣ بارجة من البوارج السابقة للدردنوط و١٣ بارجة من نوع الدردنوط و بعضها من الدردنوط الاعلى الذي قطرفوهة المدفع من مدافعهِ ١٤ بوصة وكانت الحكومة الاميركية قد شرعت في بناء ست بوارج من نوع الدردنوط الاعلى . وكانت ميزانيتها البحرية اقل من ثلاثين مليون جنيه سنة ١٩١٦ فجعلتها في فبراير الماضي قبيل دخولها في الحرب نحو ٧٦ مليون جنيه واقرَّت على انفاق ١٠٣ ملايين من الجنيهات تبني بها اربع بوارج من نوع الدردنوط الاعلى تضع فيها مدافع من عيار ١٦ بوصة . واربع طرادات حربية من نوع الدردنوط و٣٠ غواصة و٢٠ مدمرة وذلك في ثلاث سنوات ثم تلحقها بست بوارج وطرادين من نوع الدردنوط وما يلزم لها من سائر السفن الحربية . وخوَّل وزير البحرية ان ينفق ثلاثين مليون جنيه على بناء المدمرات ونحوها مما تدمر بهِ غواصات الالمان

ومعامل اميركا اقدر معامل المسكونة كلها في استعدادها لبناء السفن وعمل الآلات والاسلحة . والمعمل الذي يستطيع ان يصنع خمسمائة الف اوتوموبيل في السنة اي الف وسبعمائة اوتوموبيل كل يوم يستطيع ان يصنع ما يريد من الطيارات والغواصات والمدمرات مهما زاد عددها وكبر حجمها

وهذه الزيادة في الاسطول الاميركي تقتضي زيادة كبيرة في البحارة وضباطهم وامراء البحر . وشأن الحكومة الاميركية في ذلك شأن الحكومة الانكليزية حينما دعت هذه الحرب الى زيادة اسطولها وزيادة الالوف من البحارة والضباط لان الشعب الاميركي لا يقل عن

الشعب الانكليزي في حب اقتحام الاخطار وسرعة التدرُّب على الاعمال ولاسيما ان سواحلهُ البحرية كثيرة حول الاوقيانوس والبحيرات الاميركية وبحَّارة سفنهِ التجارية يعدون بعشرات الالوف وعندهُ مدارس بحرية لتربية الضباط وامراء البحر وهي قد لا تكون كافية الآن ولكن معدن الرجال على تمام الاستعداد لعظائم الاعمال

والولايات المتحدة اقل استعداداً من غيرها لمحاربة المانيا في الهواء لقلَّة ما عندها من الطيارات والطيارين ولكن البلاد التي اخرجت ولبور واورفل ريط وانشأت معامل يصنع الواحد منها نصف مليون اوتوموبيل في السنة لا يتعذر عليها ان تصنع الوفاً من الطيارات في سنة واحدة وتدرّب الالوف من الطيارين · وسنفرد لهذا الموضوع المقالة التالية

قلنا ان الولايات المتحدة اغنى البلدان كلها · وقد بدت فائدة غناها للحلفاء في ان حكومتها اقترضت من شعبها ١٤٠٠ مليون جنيه بفائدة ½٣ في المئة سنويًّا لكي تقرضها للحلفاء بهذه الفائدة · وهي غنية بالمعادن والغلال غناها بالنقود وقد اخذت تساعد الحلفاء في ذلك كلهِ

لكن كثرة الاجانب فيها ستكون من المشاكل التي تعوق سيرها بعض الشيء فنيويورك المدينة الكبرى سكانها ٥٦٠٠٠٠٠ ومن هؤلاء ٢٧٨٠٠٠ المان و ٢٦٠٠٠٠ نمسويون ومجريون و ٢٥٢٠٠٠ ارلنديون و ٤٨٤٠٠٠ روس و ٣٤٠٠٠٠ ايطاليون · وشيكاغو عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠٠ فيهم ٣٥٠٠٠٠ من الالمان والنمسويين والمجر · وقس على ذلك سائر المدن الكبيرة · وفي الولايات كلها عشرة ملايين من السود وهم في بعض الجهات اكثر عدداً من البيض · فليس من السهل التوفيق بين هذه العناصر وجعلها كلها على قلب واحد · وما من بلاد استطاعت ان تجمع بين العناصر المتباينة جنساً وديناً ولغات ومشارب واميالاً وتجعل منها امَّة واحدة حربية في بضعة اشهر · واكبر فارق الآن فارق اللغة فان لهؤلاء النزلاء خمس مئة جريدة بالبوهيمية والدنماركية والفنلاندية والفرنسوية والالمانية واليونانية والهولندية والمجرية والايطالية والنروجية والبولندية والاسوجية والعبرانية والعربية وما اشبه حتى يعجز الرقباء عن مراقبتها ولكن لو كانوا كلهم من اصل واحد او من بيت واحد وانة واحدة لوجدت بينهم اختلافات كثيرة يصعب التوفيق بينها · والعبرة في هذه الامور بالاكثرية الكبرى وقد ظهر حتى الآن ان هذه الاكثرية مع الحلفاء قلباً وقالباً

الحرب في الهواء

"الحرب في الهواء" كلمة كانت تقال لما هو وَهْم لا حقيقة لهُ. ثم لما اتقنت الطيارات بعض الاتقان الَّف بعضهم رواية تخيَّل فيها ان اكثر المعارك الحربية انتقلت من الارض الى الهواء فركب الجنود الطيارات بدل المركبات البرية والمراكب البحرية وتقاتلوا في عنان الجو. وما كان حينئذٍ خيالاً ووهمًا صار الآن حقيقة راهنة فقد نُقل الينا قبيل كتابة هذه السطور ان الحكومة الاميركية قطعت الاموال اللازمة لبناء ٣٥٠٠ طيارة حربية وتعليم ٦٠٠٠ طيار. ومن رأي المستر هنري ودهوس من كبار المهتمين بالطيران ان اميركا تستطيع ان تصنع ٥٠٠٠ طيارة قبل ختام هذه السنة. والآن يبلغ عدد الطيارين الاميركيين في جيوش الانكليز والفرنسويين في فرنسا الف طيار ومع الجيش الفرنسوي فريق قائم برأسهِ كلهُ من الطيارين الاميركيين. فالرجال الاميركيون على استعداد تام لركوب الطيارات ويقال ان كل مَن يركب الخيل يسهل عليهِ ركوب الهواء

وكل يوم تأتينا الاخبار عن فعال الطيارين في ميادين القتال فانهم قاموا مقام الفرسان في استكشاف مواقع العدو وخنادقهِ ومدافعهِ فيطيرون فوقها ويرشدون جنودهم حتى يسدّدوا مدافعهم اليها او يرمونها بالقنابل ويدمرونها تدميراً. وقد يلتقون بطياري العدو فينشب القتال بينهم من كر وفر وهجوم ودفاع ومناجزة بالبنادق والمدافع والقنابل الى ان تدور الدائرة على احد الفريقين فيلوذ بالفرار او تتلف طيارتهُ او تقع بهِ او يقتل فيها. وقلما يمرُّ يوم ولا يقال فيهِ انهُ حدثت معركة او معارك من هذا القبيل في الميدان الغربي

ولا يقتصر فعل الطيارات على الاستطلاع والارشاد بل انها تغير على دور الصنعة ومستودعات الذخيرة ومعامل الاسلحة والقطارات الحربية والمراكب والبوارج والغواصات والنسافات وتدمر كل ما تستطيع تدميرهُ بما تقذفهُ من القنابل الشديدة الانفجار. وقد زاد الالمان على ذلك انهم يغيرون على المدن الآمنة الآهلة بالسكان ويلقون القنابل عليها لا لقتل المحاربين واتلاف المواد الحربية بل لارعاب الناس بقتل نفر منهم كما فعلوا في عاصمة الديار المصرية في الخريف الماضي حينما اغارت عليها طيارة المانية والقت فيها بضع قنابل فقتلت وجرحت بعض المارة. وكما فعلت بعض الطيارات الالمانية بمدينة لندن في ٧ يوليو الماضي فانها كانت اثنتين وعشرين طيارة وكان معها نحو مقدار كبير من المواد المتفجرة

فقتلت بها ٢٩ رجلاً و ٦ نساء و ٥ اولاد وجرحت ٩٨ رجلاً و٤٤ امرأة و ٥٢ ولداً وجملة القتلى والجرحى ٢٣٤ نفساً . وهو عدد لا يذكر من مدينة سكانها سبعة ملايين ولا شأن لهُ في معارك هذه الايام التي يقتل في المعركة منها الوف وعشرات الالوف . ولو اغارت هذه الطيارات على مدينة لندن مئة يوم متوالية وقتلت كل يوم ما قتلتهُ في اليوم الاول ما زاد قتلاها على ٤٠٠٠ نفس وكم من معركة من معارك هذه الايام يقتل فيها في يوم واحد اكثر من ذلك ومع هذا فالحرب سائرة سيرها والخصمان لا يروعهما قتل هذه الالوف . فاذا كان احد الخصمين يظن انهُ يقضي على الخصم الآخر بثلاثين طيارة او بثلثمائة طيارة يطير بها على مدن خصمهِ فهو في ضلال مبين . ولكن لو كان عدد الطيارات ثلاثة آلاف او خمسة آلاف وقتلت في كل غارة عشرة آلاف نفس وجرحت عشرين الفاً وكررت ذلك يوماً بعد يوم وخرَّبت جانباً كبيراً من المدن كل مرة لترجح انها تنال بغيتها من خصمها . وهذا ما تنوي بهِ الحكومة الاميركية فانها عازمة ان تصنع الآن ٣٥٠٠ طيارة كما تقدم ويقال انها تستطيع ان تصنع ٥٠٠٠ طيارة وتتمها قبل آخر السنة . فاذا صنعت هذا العدد العديد من الطيارات ودربت الطيارين على الطيران والقاء القنابل فقط وارسلت معهم قليلاً من الطيارين المتدربين على الحرب في الهواء هجوماً ودفاعاً حتى يحموهم من طياري العدو وقصدوا المدن الالمانية الآهلة بالسكان والقوا عليها الوف الاطنان من القنابل خرَّبوها تخريباً وقتلوا اكثر سكانها فتنتهي الحرب باسرع ما يمكن . واذا لم يستحلوا فعل ذلك بل اقتصروا على الفتك بالمحاربين ومنع وصول الذخيرة اليهم بتخريب معامل الاسلحة والقطارات التي تنقلها وتنقل الزاد نالوا بغيتهم وقضوا لبانتهم على اسلوب يجيزهُ العرف ولو كان القتل قتلاً كيفما وقع ونفس الجندي ليست ارخص من نفس ابنهِ وزوجتهِ

والظاهر ان المانيا لا تستطيع ان تباري الحلفاء في كثرة ما تصنعهُ من الطيارات ولاسيما بعد ان انضمت اميركا اليهم . ولا شبهة ان اميركا تستطيع وحدها ان تصنع اضعاف اضعاف ما يصنعهُ الالمان والظاهر انها مصممة على ذلك وسترسل الالوف من الطيارات والطيارين الى اوربا بعضهم للقتال و بعضهم للغارة والتخريب والتدمير . والانكليز والفرنسويون باذلون اقصى اجهدهم في زيادة عدد العمال في معامل الطيارات . وقد قال الوزير لويد جورج بالامس انهم زادوا عدد العمال في معامل الطيارات ثلاثة وعشرين الفاً . كأن الطيارات صارت اكبر معتمد في هذه الحرب

كتب مدير جريدة الطيران في الجزء الاخير من مجلة لندن يقول « ان الطيار الذي

يطلب منهُ ان يقصد بلاد العدو و يلقي فيها القنابل يكفي لتدريبهِ ستة اسابيع واميركا بلاد واسعة لا تخلو على مدار السنة من اماكن صالحة للطيران فتستطيع المدارس التي تعلّم هذا الفن ان تقصدها وتعلم الطيارين فيها . وهي تفعل ذلك الآن . وقد اشتهرت بانها تسرع فيما تصنعهُ من الآلات والادوات ورجالها لا يحجمون عن اقتحام المخاطر ولم ارَ رجلاً يحسن ركوب الخيل الأَ رأيتهُ يحسن الطيران بسرعة اذا قصد . وكم في اميركا من الشبان الذين يحسنون ركوب الجياد كأنهم ولدوا على صهواتها

« ولا يخفى ان الاماكن التي تعتمد عليها المانيا في جلب الذخيرة منها كلها على مقربة من فرنسا حتى يسهل وصول الطيارين اليها والعودة منها فاذا قصدوها وخربوا ما فيها من المناجم والمسابك والمعامل وكرروا الهجوم عليها حتى منعوا اصلاحها فقدَ الجيش الالماني الجانب الاكبر من مصادر اسلحتهِ وذخيرتهِ واضطرّ الوف من العمال الى العطلة . واذا قلَّت الذخيرة في يد الجيش فسدت امورهُ وتضعضعت احوالهُ وسهل القضاء عليهِ

« واذا كثر عدد العمَّال العاطلين تآمروا وكثرت شكواهم بعضهم الى بعض . واذا استمرّ القاء القنابل عليهم ثبت لهم ان الجيش صار عاجزاً عن حمايتهم فيزيد تذمرهم ويجاهرون بالعصيان

« وزد على ذلك انهُ يسهل على الطيارين ان يتلفوا كل مرافىء الغواصات الالمانية التي في سواحل البلجيك واذا خربوا سد ترعة بروج الذي بينها و بين البحر في زيبروج انصبّ ماؤُها كلهُ في البحر عند كل جزر فترتطم السفن الحربية الالمانية في الطين عند بروج او تخرج الى عرض البحر وتتعرض للتلف

« وتستطيع هذه الطيارات ان تخرب كل مستودعات الطيارات الالمانية في بلجكا وما يجاورها فلا يبقى سبيل لها لتغير على فرنسا او انكلترا »

وجملة القول ان الحرب في الهواء صارت حقيقة بعد ان كانت مجازاً وانهُ يحتمل ان يكون لها اليد الطولى في انهاء هذه الحرب . فاذا تحقق ذلك وجاء اكثر الطيارات والطيارين من اميركا كان لها الفضل الاكبر في تقصير مدة الحرب . واذا نتج عن هذه الحرب تقييد مطامع ذوي المطامع حتى لا يعتدوا على حقوق غيرهم نتج من الشر خير وحمد الناس سراهم عند صباحهم . واذا لم تفلح الطيارات ولا غيرها من الوسائل بل استمرّت الحرب سنوات اخرى وتمكنت الحزازات من النفوس ثبت ان هذا العمران لا يصلح للبقاء

صفحة من تاريخ التجارة المصرية [١]

التنازع والتخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

ايها السادة الكرام وايها الابناء الانجاب

حياكم الله تحية مباركة طيبة ومتعكم جميعاً بالصحة والعافية وجعل تجارتكم رابحة في الدنيا والآخرة

وقفت بكم هذا الموقف منذ ثلاث سنوات ومن بواعث سروري الصحيح ان اقف بينكم اليوم ذلك الموقف مرة ثانية . وان اشاهد بعيني تقدُّم المدرسة المطرد في سبيل الفلاح . فانني اعتقد ان كل خطوة تخطوها أية مدرسة الى الامام انما هي حجر جديد يوضع في دعائم الرقي الذي نتمناه لمصر . و يقيني ان بلادنا لن تفلح الفلاح المطلوب الأ اذا انصرفت طائفة كبيرة من ابنائها الى الشؤُون الاقتصادية وحوّلوا هممتهم الى الامور المالية ليكونوا قدوة صالحة للامة كلها في وجوب الاعتماد على النفس

ايها السادة

لو كان الانسان يستطيع ان يستغني عن غيرهِ من الناس وان يحصّل بنفسهِ كل ما يحتاج اليهِ في حياتهِ على اطلاقهِ فلا يطلب من غيرهِ شيئاً ولا يمدّ الى سواهُ يداً لا بالاخذ ولا بالعطاء لما احتاج الناس الى التجارة . ولكن الامر على غير ذلك فانهُ من المستحيل — حتى في الخيال — تصور هيئة اجتماعية موَّلفة من شخص واحد يفي عملهُ بحاجات نفسهِ او موَّلفة من اشخاص عديدة لا اختلاط بين افرادها بل كل منهم يكون عالماً قائماً بذاتهِ غريباً عن العالم الذي يحيط بهِ او يجاورهُ . فالسندباد البحري عند العرب وروبنسون كروزي عند الافرنج اذا كانا استطاعا — كما تقول الاقاصيص — ان يعيشا في عزلة تامة عن البشر لمدة ما — وان يجدا كل ما يحتاجان اليهِ انما هما من ابناء الخيال لا من ابناء الاجتماع . اما الانسان بحسب ما تدركهُ عقولنا اي باعتبارهِ جزءًا من الاجتماع الذي نعيش فيهِ لا هيئة كاملة مستقلة فهو من مهدهِ الى لحدهِ ومن مطلع فجرهِ الى مغرب شمسهِ محتاجٌ الى اخيهِ الانسان احتياجاً مطلقاً . وهذا ما يعبر عنهُ الحكماء بقولهم « الانسان مدني بالطبع »

(١) من خطبة لصاحب السعادة احمد زكي باشا السكرتير الاول لمجلس النظار القاها في احتفال المدرسة الاميركية بالاسكندرية في ٢٩ يونيو مساء عند توزيع الشهادات على المنتهين من تلامذة القسم التجاري منها

فهو يعطي جارهُ ما يزيد عن حاجتهِ مما يصنعهُ ويأخذ في نظير ذلك ما يحتاج اليهِ مما يزيد عن مطلوب جارهِ . وتلك هي التجارة

فالتجارة انما هي تبادل الحاجات بين الناس . ذلك هو تعريفها في ابسط مظاهرها . وانما اتسعت دائرتها وتشعبت احوالها باتساع دائرة العمران وازدياد الحاجيات ازدياداً هائلاً دعا اليهِ تبسط الناس في طلب النعيم وامعانهم في التهافت على الترف تبعاً لسنة الارتقاء

فليست التجارة عملاً كل فائدتهِ عائدة على التاجر وانما هي عمل عام يهم الجمهور كلهُ . وتزداد الاوطان قوة ورخاء ويسراً بنسبة رواج حركة التجارة فيها ومنافستها لغيرها في هذا الباب الفسيح من ابواب الرزق

رب قائل يقول : وما هي وظيفة التجارة بالتمام ؟ الناس هم الذين ينتجون والناس هم الذين يستهلكون . فاي مجال لذلك الدخيل بين فريقي المنتجين والمستهلكين ؟

أقول لكم تلك الوظيفة في كلمات وجيزة . يزرع الناس الارض ويدخلون الى بطونها فيستنبطون منها الارزاق والمعادن . يتسنمون قلل الجبال ويغوصون في اعماق البحار فيستخرجون منها اللآلىء والخيرات . ثم يكومون هذه المحاصيل التي تدرّها عليهم امهم (الطبيعة) بلا حساب وتزيدهم منها كلما زادوا اقداماً . ولكن هذه المحاصيل يجب تصريفها وايصالها الى من يحتاجون اليها والاّ كانت عديمة الجدوى عديمة القيمة « والمندل الرطب في اوطانهِ حطب » . فالتجارة هي التي تتكفل بهذه المهمة لان وظيفتها تصريف هذه المحاصيل وتوزيعها . وهذا العمل منتج في ذاتهِ فعلاً لا مجازاً . لان الانتاج هو ايجاد قيمة لشيء انعدمت قيمتهُ او قلّت وهو ما تفعلهُ التجارة

لذلك كان للتجارة منذ بدء العمران اثر فعال في حياة الناس وكانت في كل حين من اقوى العوامل في انتقال مظاهر الحضارة من اقليم الى آخر . فكان التاجر وهو آتٍ بقافلتهِ من اقاصي البلدان الى بلد غريب يقتبس عنهُ ويبث فيهِ — ولو على غير علم منهُ — كثيراً من العادات والاخلاق والافكار . فكان كل تاجر رسولاً من رسل الحضارة في تلك الايام التي لم يكن فيها بخار ولا كهرباء ولا تليفون ولا تلغراف . وقد شهد التاريخ بان القوافل التجارية — البرية على متون الابل والدواب والبحرية على متون المراكب الشراعية بل على متون الاقدار — هي التي كانت واسطة الاحتكاك ووسيلة التواصل بين مختلف الامم من الجهتين الحسية والمعنوية

ومما يجب ان لا يبرح عن البال ان التجارة كانت ملازمة للحضارة في كل زمان ومكان فحيثما ارتقت احداهما ارتقت الاخرى حتماً واينما انحطت الاولى ضاعت الثانية بلا جدال

انظروا قليلاً الى الماضي — بل الى الحاضر — وقولوا لي لماذا كان للبحر الابيض المتوسط على الدوام ذلك المركز الممتاز الذي لا يضارعهُ مركز سواهُ ؟ ولماذا انحصرت الحضارة القديمة تقريباً في البلاد الواقعة على ضفافهِ فكان سكانها اكبر الامم شأناً واعظمها جاهاً وأظهرها اثراً ؟ ليس ذلك لان البحر الابيض ماؤُهُ عذب فرات وماء غيرهِ من البحار ملح أجاج . ثم هو في الواقع صغير اذا قيس بغيرهِ من البحار . إنما السبب كل السبب هو في انهُ كان طريق التجارة بين الامم كان الصلة بين الشرق والغرب . وقد قلنا ان التجارة والحضارة متلازمتان هيهات ان تفترق احداهما عن الاخرى

تُرى أيهما كان العلة وأيهما كان المعلول ؟

أكان انتشار التجارة سبباً في رقي الحضارة ام كان تقدم الحضارة داعياً الى اتساع دائرة التجارة ؟ اللهم اني استغفرك من الزلل واعوذ بك من مواقف الخطل ! فانا مقر اني عاجز عن الجواب قاصر عن فصل الخطاب . وانما انا ارى ان كلاًّ منهما علة ومعلول سبب ونتيجة . فشأنهما شأن البيضة والدجاجة او هما كحلقة السلسلة المفرغة لا يدرى اين طرفاها

ولما كانت التجارة هي الدعامة الكبرى للثروة واضمن السبل للوصول اليها فهي إذن بلا جدال الأُس الذي يبنى عليهِ رقي الامم ورفعة شأنها . لذلك كان امل مصر كبيراً في أبنائها العاكفين الآن على تعلُّم التجارة عساهم يستردون لها مكانتها الجديرة بها حتى يصح لهم ان يصيحوا في جوانبها بملء افواههم : هذه بضاعتنا رُدَّت الينا

نعم فقد كان الشرق على الدوام ولا يزال المورد الذي تتناول منهُ بلدان العالم حاجاتها وتستجلب المواد الاولية اللازمة لمصنوعاتها . ولما كانت مصر هي الصلة بين الشرق والغرب وطريق التجارة العامة كان لها حتماً بسبب موقعها الجغرافي شأن لا يستهان بهِ . وهذا الشأن هو الذي جعلها مطمح الانظار ومرمى الابصار على ممر الازمان

لو شئت ان انوّه هنا — ولو بالايجاز التام — عن حالة مصر من هذا القبيل في مختلف ادوارها لاعجزني المقام وضاق بي المجال . ولكن لو قام بينكم اديب ضليع ووضع مؤلفاً شاملاً في تاريخ مصرنا التجاري بصفتها صلة الامصار من اول عصور التاريخ الى الآن واستوعب الادوار التي تقلبت عليها في هذا المضمار : من فلاح وخيبة ويسر وعسر وتقدم وتدهور ونهوض وهبوط لاخرج للناس كتاباً قيّماً يجمع بين الطلاوة والفائدة

على ان ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ . فسأحادثكم الليلة عن دور من ادوار مصر في ميدان التجارة واسمعكم من طريف الحديث وتليدهِ ما لم يكن يخطر لاحدكم على بال

على اني قبل ذلك اذكر لكم على سبيل الاستطراد ان المسلمين ينظرون الى التجارة نظرة احترام خاصة و يكبرونها أجل إكبار . ذلك لان رسولهم عليهِ الصلاة والسلام كانت حرفتهُ التجارة . فقد بدأ حياتهُ قبل الرسالة تاجراً فكان يذهب الى الشام لهذا الغرض حيث اشتهر بالامانة ايما اشتهار فكان للناس اكبر نبراس هداهم الى ان الامانة هي رأس مال التاجر وسرّ نجاحهِ وعماد ثروتهِ . واي مهنة يعتبرها المسلمون اشرف من المهنة التي تشرفت بانتساب رسولهم الكريم اليها؟ فلا غرو ان فطروا على إكبار التجارة والتجار وتاريخهم كلهُ ادلة ناصعة ناطقة بما للتجارة في نفوسهم من الاحترام و بما كان لها من الاثر الصالح في انتشار الاسلام ونشر حضارتهِ . اذكر منها — والحديث شجون — مثلين اثنين يحلو لي ذكرها بصفتي مسلماً و بصفتي مصريًا لانهما يدلاَّن على رفعة النفس وشرف الاحساس وصدق المبادىء . يدلاَّن على ان الشرقي متى كان حكيماً حازماً ترفَّع عن السفاسف والصغائر ووصلت نفسهُ الى درجة من السموّ عديمة النظير

واول المثلين عن صلاح الدين يوسف بن ايوب . وثانيهما عن مجدد شباب مصر ومعيد مجدها اعني بهِ طبعاً محمد علي الكبير رأس الاسرة العلوية والجد الاعلى للكريم ابن الكريم الكريم حسين بن اسماعيل بن ابرهيم

هل جاءكم حديث ابن ايوب ؟ ذلكم هو صلاح الدين فخر الملوك الصيد وتاج الامراء الصناديد بل زينة الرجال على الاطلاق حارب الصليبيين حرب القروم فصرعهم وصرعوهُ وغلبوهُ وغلبهم والحرب سجال . وليس الفخار صفة للانتصار وليس العار ملازماً للانكسار انما الفخر ان يكون الرجل متصفاً بصفات الكرام وان لا يحيد قيد شعرة عن مبادىء الشهامة والمروءة والفتوة . ومن ذا الذي بلغ ما بلغهُ ابن ايوب من كريم الشيم ومحاسن الاخلاق التي رفعت قدرهُ واجتذبت نحوهُ قلوب الاعداء قبل الاصدقاء واظهرت اسمهُ في التاريخ تحوطهُ هالة من الانوار؟

عرفناهُ حامياً لدينهِ حامياً لبلادهِ حامياً لدولتهِ . فماذا كان نصيبهُ فيما يتعلق بالتجارة؟ اصدر هذا الملك الكبير امرهُ الى قوّادهِ وجنودهِ بان لا يتعرضوا للتجار المسيحيين باذًى وان لا يقلقوا راحتهم لاي سبب ما . لان هؤلاء التجار ليسوا من المحاربين . فكانت قوافل التجار المسيحيين الاوربيين تروح وتجيء في بلاد المسلمين هادئة مطمئنة لا يعترضها

معترض والحرب حينئذٍ مستعرة الاوار والمعارك والغزوات قائمة من الجانبين

ومَن اولئك المسيحيون الاوربيون هم الذين جاؤُوا ديار المسلمين غازين فاتحين · الذين جاؤُوا لينزعوا عن تاج صلاح الدين درة من اثمن الدر

تالله ان هذا المثل لهو من ابلغ الامثال التي وردت في التاريخ وهو وان كان يرجع على الاخص الى روح التسامح التي اشتهر بها صلاح الدين وتعطّرت بذكراها الاسفار والايام الأ انهُ يدلّ بصورة جلية على ما كان للتجارة من المكانة والاحترام عند ملوك الاسلام

ولقد اثرت هذه القدوة الحسنة في الصليبيين انفسهم فحذوا حذو خصمهم الكريم وسمحوا لقوافل التجار المسلمين بان تمر في الاراضي التي كانوا يمتلكونها ويحتلونها دون ان يتعرّض لها احد منهم بسوء على الاطلاق

بل اسمعوا ما قالهُ في هذا الشأن السائح ابن جبير الاندلسي الشهير والمدفون برمل الاسكندرية المعروف باسم « سيدي جابر » · قال ما نصهُ بالحرف الواحد : « ومن اعجب ما يُحدَّث بهِ ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى وربما يلتقي الجمعان ويقع المُصافّ بينهم ورفاق (قوافل) المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم · شاهدنا ذلك في هذا الوقت [الذي هو شهر جمادي الاولى سنة ٥٨٠ للهجرة = اغسطس – سبتمبر سنة ١١٨٤ للميلاد] · من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك وهو من اعظم حصون النصارى وهو المعترض في طريق الحجاز والمانع لسبيل المسلمين على البر بينهُ وبين القدس مسيرة يوم او أشف قليلاً وهو سرارة ارض فلسطين ولهُ نظر عظيم الاتساع متصل العمارة يذكر انهُ ينتهي الى ٤٠٠ قرية · فنازلهُ هذا السلطان وضيق عليهِ وطال حصارهُ بهِ واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك وتجار النصارى ايضاً لا يُمنَع احد منهم ولا يُعترض · وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤَدونها في بلادهم وهي من الأمنة على غاية وتجار النصارى ايضاً يؤَدون في بلاد المسلمين على سلعهم · والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الاحوال · واهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب »(١)

أفرأيتم ما وصل اليهِ التجار بون في القرن الثاني عشر للميلاد اي في قلب القرون الوسطى – في تلك العصور التي يدعوها ابناء اوربا ظلماً بعصور الظلام – فقد وصلوا في تلك الايام الخالية الى ما لم يصل اليهِ المستنيرون والمتحضرون المعاصرون لنا في القرن

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٨٧ – ٢٨٨ من الطبعة الثانية بليدن

العشرين بل قد بلغ اولئك الاقوام غاية ربما لا تدركها الانسانية بعد قرون طوال من احترام تجارة العدوّ في إبّان القتال !

اما محمد علي فانتم تعلمون ما كان بينهُ و بين الدولة العثمانية من الوقائع الجسام وتعلمون أن مصلحتهُ كانت في تلك الايام متناقضة مع مصلحة بريطانيا العظمى فهي التي وقفت في سبيلهِ وحالت بينهُ و بين تحقيق امانيهِ ولكنهُ بالرغم من اشتداد نار الحرب بينهما واستحكام العداوة — اتى بعمل اعجز اهل الحلم من المتقدمين والمتأخرين(١)

فاسمعوا ما قالت احدى الجرائد الانجليزية وهي جريدة « نومسماتيك كرونيكل » في المجلد الخامس من المجموعة الاولى صحيفة ١٤٧ الى ١٥٠ :

« وفي اثناء هذه الحرب بينما كنا نحاصر ثغور الباشا ونحرق مدنهُ وقراهُ ونلقي الخراب والدمار في أراضيهِ ونفني عساكرهُ آلافاً بعد آلاف ونعرض حياتهُ للخطر كان هذا الشيخ الجليل الوقور يترك طريق المواصلات الاكبر مع الهند مفتوحاً وينقل رسائلنا عن طريق بلادهِ ويحمي رعايانا من السوء سواءٌ كانوا من التجار أو من السفّار مع ان قوانين تلك الامم التي يدعونها « متمدنة » تسمح لهُ باعتقالهم كاسرى حرب وبالاستيلاء على مقتنياتهم ومصادرتها لنفسهِ طبقاً لاحكام تلك القوانين

« لقد تغلّب ذلك الرجل الكبير بصورة موجبة للاعجاب على الاهواء البشرية السافلة والاغراض النفسانية المنحطة في ظروف من اشد الظروف حرجاً فعمل بمبادىء سامية تنمُّ عن كرم منقطع النظير وهي في جوهرها وحقيقتها مبادىء مسيحية فانقلبت الامور ووجب ان يحسب المغلوب غالباً ظافراً . ولا شك انهُ متى تبددت الاوهام وزال ما رسخ في الاذهان فان الاجيال المقبلة ستمجد ذكراهُ وتحفظ اسمهُ في عداد المحسنين للانسانية »

وقد اطنبت الصحف الانجليزية في الثناء على محمد علي لاجل هذا العمل الجليل وأجمعت الغرفة التجارية في بمبي على صياغة نوط (ميدالية) قدمتهُ لهُ مع عريضة شكر إعجاباً بما ابداهُ من الشمم وما اظهرهُ من علوّ النفس . وهذه العريضة محفوظة بنصها الانكليزي في دار الآثار العربية واليكم ترجمتها :

« عن مدينة بمبي في ١٩ يونيو سنة ١٨٤١

« الى حضرة صاحب السموّ محمد علي باشا والي مصر

(١) البيانات الآتية مأخوذة عن بحث ليعقوب ارتين باشا باللغة الفرنسية في مجلة « مصر » سنة ١٨٩٧

« مولانا

« نحن الموقعين على هذا اعضاء الغرفة التجارية بمدينة بمبي نلتمس من مكارم سموكم ان تسمحوا لنا بالتعبير عما يخالج افئدتنا من عظيم الشكران وخالص الامتنان لما تفضلتم بهِ من حسن الرعاية وكريم العناية الخاليين عن الغرض في نقل المسافرين وتبادل الرسائل عن طريق مصر في زمن الحروب التي نشبت اخيراً في الشرق

« وكونوا سموكم على يقين بانا نقدر هذه الرعاية الجليلة التي منحتموها لنا في وقت لو حرمتمونا اياها في اثنائهِ لحقنا خسائر جمة بسبب تأخير وصول البريد بل احتمال فقده

« ولو ان هذا العمل صدر عن دولة مصادقة لدولتنا لكان من واجبنا ان نرفع لها فرض الشكر عليهِ . اما وقد صدر عن سلطة كانت في ذلك الوقت معادية لحكومة بلادنا وكان صدورهُ عن محض ارادتها فانهُ يلوح لنا انهُ جدير بخالص شكرنا القلبي بل هو فوق ذلك خليق باعجابنا المتناهي

« واسمحوا لنا يامولاي فضلاً عن ذلك بأن نؤكد لكم ان ذكرى هذا الفعل الجميل ستبعث في افئدتنا على الدوام الشعور بعظيم الحمد وفائق الثناء . ولنا وثيق الامل بان الذي ظهر بمظهر العدو الكريم الاخلاق الكريم الافعال سيكون لبلادنا صديقاً لا تغير مودتهُ الايام (1) »

***

ذكرتُ هذين المثلين للدلالة على شهامة الشرقي وعلى احترامهِ للتجارة — فهل يقدر أحد من ابناء الغرب ان يضارع اهل مصر في هذه المكارم ؟ وها هي اخبار الحرب الحاضرة الهائلة تتكفل بالجواب !

ذكرت لكم « صلاح الدين » و « محمد علي » لانني اريد ان اترنم دائماً بمفاخر بلادي لاحياء الكمالات التي اعتقد انها لا تزال كامنة في نفوس قومي عساهم يتنبهون لانفسهم ويعملون على استرجاع مكانتهم . ولن احيد عن هذه الخطة كلما سنحت لي فرصة لانني اعتقد ان الذكرى تنفع المؤمنين

ذكرتُ لكم صلاح الدين ومحمد علي . واريد اليوم ان اقف في منتصف الطريق بين هذين البطلين اللذين أسسا دولتين كبيرتين في وادي النيل . ففي منتصف هذا الطريق

(1) ويلي ذلك الامضاءات وعددها ٢٧ من اكابر التجار الانجليز يستوقف الانظار فيها امضاء تاجر مسلم كتب اسمهُ بالانجليزية ووضع فوقهُ هذه العبارة : « المخلص ميرزا علي محمد بن محمدعلي خان شوشري »

سقطت في مصر دولة كانت لها الزعامة الدينية والسياسية في الشرق وكانت لها السيطرة على بلاد اوربية بسبب التجارة

اريد اليوم ان اناجيكم بقليل مما وصل اليهِ علمي عن التجارة العامة الاممية ولكن من الوجهتين التاريخية والجغرافية ومع الاقتصار على ما يتعلق بمصرنا المحبوبة . أريد ان اساجلكم الحديث عن اهمية هذا الوادي البهيج وادي النيل السعيد من حيث مركزهُ التجاري المنقطع النظير ذلك المركز الذي جعل لبلادنا في وقت من الاوقات رجحاناً عظيماً في كفة السياسة العمومية وجعل لاهلينا بل لاجدادنا الاقربين مقاماً ممتازاً في الثروة العمومية . فلقد كان اليسار في ذلكم الوقت مادًّا رواقهُ على هذا القطر واهليهِ بما اوجب ازدهار الفنون الجميلة على ضفتيهِ وفي كل نواحيهِ . وناهيكم بالعاصمة القاهرة فقد كانت جنة الدنيا وقرارة العليا بل كانت في مجموعها عبارة عن متحف فخم عظيم لا تزال بقاياهُ القليلة الجليلة في الاحياء الوطنية شاهدة بذلك المجد الذي لا يعادلهُ فخار

لاجل ان يكون التفاهم بيني وبينكم متبادلاً (على ما يقول التجار) وتامًّا كاملاً على رأي ارباب الاقلام اطلب اليكم ان ترجعوا معي بالخيال الى الخريطة الجغرافية والى الماجريات التاريخية في اوائل القرن العاشر للهجرة (اوائل القرن السادس عشر للميلاد)

فاولاً — اذا نظرتم بعين البصيرة الآن الى ما استوقف انظاركم في حلقة الدروس الجغرافية وتخيلتم الخريطة الجامعة : إذن لرأيتم مصرنا هذه مركزاً طبيعيًّا للقارات الثلاث القديمة (افريقيا) و (آسيا) و (اوربا)

تدبَّروا رعاكم الله هذا الموقع البديع ! فقد كان ولا يزال محط الابصار ونقطة الاتصال بين سائر الاقطار

أفلا ترون بحر القلزم (البحر الاحمر) ساجداً خاشعاً امام سواحل مصر الشرقية وها هو بحر الروم (او بحيرة المملكة العربية في ايام عز العرب الذي نسميهِ الآن بالبحر الابيض المتوسط) يترشَّف ثغورها من جهة الشمال ثم ينطلق مغتبطاً بهذا الوصال حتى ينتهي من جهة الغرب الى بحر الزقاق (بوغاز جبل طارق) حيث تختال مغاني الاندلس الزاهرة تكتنفها رياض بلاد البرتقال المطلة على البحر الاخضر بحر المظلمات بحر اقيانس كما يسميهِ العرب وهو الذي ندعوهُ الآن متابعة للافرنج بالمحيط الاطلنطي ويغلط من يقول الاطلسي ذلك البحر الخضم الذي تترادف امواجهُ كالجبال حتى رأس الزوابع المعروف برأس الرجاء الصالح ومن هناك يتصل بلجج المحيط الهندي المسمى لدى العرب ببحر الزنج وبحر الهند الذي

ينتهي الى شطوط الهند والهند الصينية ثم ينعطف في اقصى نهاياتهِ عند الشمال الغربي الى زقاق ضيق تكثر فيهِ الكوارث وتتتابعُ النوائب وهو المعروف عند جميع الامم بالاسم الذي وضعهُ لهُ العرب اعني باب المندب . هذا الزقاق تنفذ منهُ الامواه الى بحر القلزم باسم القلعة فالمدينة (Clisma) التي لا تزال بعض بقاياها الضئيلة ماثلة شمالي مدينة السويس

والى هنا انتهيتُ من تخطيط الثلث الاول من تلك الدائرة العظمى التي مركزها بلاد مصر

اما الثلث الثاني فهو بلاد اوربا ولا ازيدكم بها تعريفاً . ففيها ما فيها من ضخامة الملك واستبحار العمران بل فيها قبة الاسلام والمدينة الخالدة ومدينة الانوار وسلطانة البحار وانما اشير على جناح السرعة الى ما لهُ ارتباط وثيق فيما انا بصددهِ . اعني تركية اوربا وجمهوريات البنادقة وجنوة وفلورنسه وبلاد القيطلان ومملكة اسبانيا ومملكة البرتقال — كانت في ذلك العهد قابضة على جميع ازمة التجارة في ديار اوربا وكانت لها السيطرة والرجحان في سياسة ايطاليا بسبب علاقاتها التجارية ومحالفاتها السياسية مع السلطنة المصرية

اما الثلث الثالث فهو قارة آسيا مهبط الجنس البشري منبع الامم موطن النبوّات مصدر التجارات . فلقد اودع الله فيها من كنوز الطبيعة وذخائر الصناعة ومفاخر الزراعة ما هو فوق الوصف والتعريف . والذي يهمنا منها في هذا المقام هو بلاد الهند . وحسبك ببلاد في بحرها الدر وفي برّها الذهب وفي جبالها الياقوت والماس وفي شعابها العود والكافور وجميع انواع الطيب . كالقرنفل (Girofle) والسنبل (Nard) والدار صيني (Cinamone) والقاقلة (Cardamone) والسليخة = القرفة (Canelle) والكبابة (Cubèbe) والبسباسة وهي قشرة جوز الطيب وغزال المسك . بل هي بلاد لا تقاس في الارض بمملكة سواها لاتساع اقطارها وكثرة اموالها

ثانياً — اذا رجعنا الى ما استرعى اسماعنا وروّع البابنا من الحوادث التاريخية في الربع الاول من القرن العاشر الهجري او بطريق التحقيق والتدقيق الى المدة المنحصرة بين سنتي ٨٩٨ و ٩٢٣ هـ (١٤٩٢ م — ١٩١٧ م) وقفنا على مكانة مصرنا في التجارة الدولية الاممية وعلمنا كيف انهار ملكها وكيف ضاعت ثروتها في وقت واحد معاً

فلاجل استحكام الاخذ والعطاء بيني وبينكم فيما انا آخذ بسببهِ من البيان ينبغي لي ان أسرد لكم اسماء بعض المشاهير من الذين كان لهم شأن في تمثيل تلك الرواية الواقعية على مسرح العالم في اوائل المدة الزمانية المعروفة بالعصور الحديثة

يقول الفرنساويون A tout Seigneur, tout tronneur وانا اترجم هذه المقولة

« الامير اولى بالتصدير » . لذلك كان من الواجب ان ابدأ بذكر اصحاب التيجان ومديري الممالك في تلك الايام

فاولهم واكبرهم بلا مراء ولا جدال هو ذلك الذي صحَّ لهُ ان يقول كلمة سبقهُ سلفهُ اليها وهي : « أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي » . ذلكم هو السلطان الملك الاشرف ابو النصر عبد الله قانصوه الغوري الذي جاس على عرش مصر وعمرهُ ستون سنة وبقي حاكماً عليها ١٧ من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢٢ هـ (١٥٠٠ الى سنة ١٥١٦ م) الى ان لقي مصرعهُ تحت سنابك الخيل بمرج دابق بالقرب من حلب وهو يدافع بنفسهِ عن تاجهِ وصولجانهِ ويحمي بيضة ملكهِ برمحهِ وسنانهِ . وهو الذي يسميهِ البرتقاليون Canaças ثم حرفوا اسمهِ الى كانسور Cansor

وكان في القسطنطينية حينئذٍ السلطان سليم الثاني فاتح مصر المعروف عند البرتقاليين باسم Selimxà

في مكة الشريف بركات بن محمد بن بركات

في اليمن الملك الظاهر صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن طاهر آخر دولة بني طاهر التي تلقت الملك عن بني رسول قتلهُ في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ (ابريل سنة ١٥١٧ م) الامير حسين الكردي المصري

في عدن الامير مرجان العامري وهو الذي صدَّ البرتقاليين عنها حينما هجموا عليها بقيادة الفونسو البوكرك في سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م) وقد حرَّف البرتقاليون اسمهُ كما يأتي :

Mira Merjâo. Miramijan, Mirhmiriam, Miramirjâo, Miramizam, Miramegena.

في كجرات (جزَرات) Gaudjerat السلطان ناصر الدين ابو الفتح مظفر شاه خليل من قبلهِ ابوهُ محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه وكانت كنبابة (Cambaya) من جملة ممالكهِ

في كاليكوت عاصمة بلاد ميليبار السامري [1] وهو وثني قد دافع البرتقال عن بلادهِ وانكى فيهم كثيراً

---

(١) هذا الاسم يطلق على كل من تملك السلطنة في كاليكوت وهو مشتق من كلمة (تامونبرى) و (ساموري) و (سومور) باللغة السنسكريتية وعنها لفظة سامري في لغة الملابو ومعناها (ملك البحر) ويسميهِ العرب السامري واما البرتقاليون فيقولون Samorin وعنهم الافرنج عموماً Zamorin

واذكر على سبيل الاستطراد اسم السلطان ابي عبدالله بن محمد الاحمر النصري المعروف عند الافرنج بطريق التحريف والاختصار باسم بو أبديل (Boabdil) وهو الذي انقرضت على يديه البقية الباقية من ملك المسلمين الطويل العريض الفخيم الجليل بديار الاندلس

اما مشاهير افراد الشرقيين فهم :

احمد بن ماجد رجل ماهر في سلك البحار الهندية وهو الذي تودّد اليه ڤاسكو دوجاما واسكرهُ حتى دلّهُ على طريق الهند

الامير حسين الكردي الذي يذكرهُ البرتقاليون باسم ميرهوسم (Mirhocem) الذي ارسلهُ السلطان الغوري لاغاثة ملوك الهند من عادية البرتقال

الريس سلمان امير الاسطول المصري

اما ملوك الافرنج في ذلك العصر فكانوا

يوحنا الثاني ملك البرتقال الملقب بالكامل (le Parfait) وكان ولوعاً بالاكتشافات البحرية . ثم عمانويل الثاني خليفتهُ على سرير البرتقال وهو الملقب بالسعيد (le Fortuné) ولقد حُقَّ لهُ ذلك اللقب فقد خدمهُ الجد والسعد الى آخر حد حتى استعمر بلاد الهند وانتزع التجارة من مصر

ثم فردبنند وايزابلا الكاثوليكيان المشتركان في الجلوس على عرش اسبانيا وهما اللذان استصفيا ملك العرب بالاندلس من السلطان ابي عبد الله الاحمر النصري . وكان لهما الحظ الاوفر من استكشاف امريكا

اما مشاهير رجالات الافرنج الذين يعنينا شأنهم فهم :

دياز البرتقالي الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح

وكرستوفر كولومب الجنوي مكتشف امريكا

وفاسكو دوجاما البرتقالي الذي سماهُ قطب الدين النهروالي في « البرق اليماني » « ألي مَكَندي » تحريفاً لعنوان وظيفة « الميرانتي » (Almirante) التي اخذها البرتقاليون عن لفظة « أمير البحر » فحرف العرب لفظ اجدادهم (١)

---

(١) نظير ذلك قول اهل اسكندرية « مغازة » و « ترسانة » فان هذين اللفظين مأخوذان عن كلمتين طليانيتين Darsena, Magazzino نقلها الافرنج عن لفظين عربيين « هما مخزن » و « دار الصنعة »

وألفونسو ألبوكرك (Alphonse Alburquerque) والى الهند الشرقية باسم ملك البرتقال وهو الذي اكتشف للاور بين جزيرة زنجبار وحاول امتلاك مصر او تخريبها بتحويل مجرى النيل الى البحر الاحمر ولكنهُ لم يفلح وتوفي سنة ١٥١٥ م (سنة ٩٢١ ﻫ) اي قبل الفتح العثماني بسنتين

وهناك رجل هو شرقي غربي او في الحقيقة هو لا الى هولاء ولا الى هؤلاء فقد كان طليانيًّا فتمشرق وكان يهوديًّا فتمسلم ثم تنصر واسمهُ جسبار وسيأتي الكلام عليهِ في محلهِ . خزاهُ الله

***

لماذا خصصت الكلام على هذه الحقبة التاريخية المنحصرة بين سنتي ٨٩٨ و٩٢٣ للهجرة ؟ لان سنة ١٤٩٢ م (٨٩٨ ﻫ) كان فيها زوال ملك المسلمين عن الاندلس بتسليم غرناطة . وفيها وضع كرستوف كولومب قدمهُ في ارض الدنيا الجديدة فانهالت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وخيرات « الهنود الغربية » على مملكة اسبانيا

ولان دياز كان اكتشف رأس الزوابع قبل ذلك اي سنة ١٤٨٦ (٨٩١–٨٩٢ﻫ) ولقد تمكن ڤاسكو من اجتيازهِ فعلًا في سنة ١٤٩٧ (٩٠٣ ﻫ) والقى مراسيهُ في سنة ١٤٩٨ (٩٠٤ ﻫ) ببلاد الهند على مدينة كاليكوت Kalikotta, Calicut [1] التي يسميها العرب قاليقوط ايضاً وهي التي نحت الفرنج من اسمها لفظة Calicot للدلالة على نوع القماش المعروف الى الآن بهذا الاسم لامتيازها بنسجهِ . وهي غير مدينة كلكته (Calcutta) التي اقامها الانكليز من عهد غير بعيد في بلاد الهند

اذا تقرر هذا وارسلنا رائد النظر الى ما جرى ويجرى وراء الستار وتدبرنا مثار الحروب التي وقعت بين الدول من قديم الزمان الى هذه الساعة لتحققنا ان التجارة كانت ولا تزال هي السبب الاصلي في شبوب نيرانها وما تجرهُ وراءها من ويلات الفوادح والاهوال . نعم ذلك هو الواقع وعين اليقين — ولكن هذه العلة الاساسية — وهي التجارة — كثيراً ما تكون مستترة بحجاب (كثيف او شفاف) من الاغراض الاخرى مثل نشر الدين او المحافظة على الناموس او غير ذلك من المرامي التي يتذرع بها ارباب الحل والعقد في سوق الجماهير الى المجازر البشرية

سيأتي البقية

(١) ومعنى ذلك باللغة السنسكريتية قلعة الديك

مغامز المعاجم العربية

مقدمة البحث

من ينعم النظر في المعاجم العربية التي الفت في اخريات هذه الايام و يقابلها بالدواوين التي من جنسها تلك التي صنفت في العهد الاول من هذه اللغة يرَ ان الفرق زهيد لا يكاد يذكر مهما ادعى اصحابها التفوق على من تقدمهم في هذا الضرب من التصنيف بخلاف من تتبع معاجم الافرنج فانهُ يراها تدرجت تدرُّجاً يضاهي تدرج الطفل في العمر اذ تراهُ كهلاً بعد ان كان وليداً

اني لا اقول ذلك من جهة الظواهر الخارجية وسهولة البحث والتنقير عن الكلمة فان المتأخرين فاقوا المتقدمين في هذا المعنى ولم يحصلوا على هذا الغرض الأمن بعد ان الَّف الافرنج تآليفهم في اللغة فتاثرهم موألفونا احسن التأثر بل ربما فاقوهم في عدة امور هي طفيفة لكن لها شأن يذكر في مثل هـذه الدواوين التي هي بمنزلة المعهد والمرجع لمن يريد تثبت الالفاظ وسرعة ايجادها ضناً بالوقت وتفادياً من الوقوف على ما لا يريدهُ في وقت بحثهِ من الالفاظ الخارجة عن موضوعهِ

اما قولي ان المحدثين من واضعي المعاجم لم يزيدوا شيئاً يذكر على ما صنفهُ الاوائل فهذا يرجع الى تعريف الالفاظ ونقل عبارات المتقدمين بدون تدبُّر والقاء الكلام على عواهنهِ وقلة تدبُّر ما يكتبونهُ الى غير هذه الامور التي تحققها اذا ما اخذت بيدك هذه التصانيف وتتبعت ما ورد فيها واستقريتهُ وانتقدتهُ بفكر وبصيرة · ولما كان المقتطف حامل لواء العلم الى جميع الديار العربية وكان وحدهُ صوت العلماء من كل صقع وحدب وهو شيخ المجلات العربية اتيتُ بهذه المقالة لاتحف بها قراءهُ جهابذة العرفان حتى اذا وضعوا معجماً من المعاجم اللغوية ادخلوا فيهِ ما يحسّنهُ في العيون وينحّي عنها سوء الظنون · فاقول :

ذكر مغامز المعاجم

في الدواوين اللغوية عدة معايب ومغامز لا بد من ان تزال منها صوناً لها في هـذا العصر عصر التقدم والرقي والاصلاح · ومن هذه المغامز :

١ ان المؤلفين لم يذكروا في دواوينهم كثيراً من الالفاظ المستعملة في تصانيف المؤرخين والكتّاب واصحاب الفنون والصنائع المختلفة ولذلك لا ترى فيها اثراً للكلم الواردة

في مفاتيح العلوم وشفاء الغليل وابن خلدون وابن القفطي وغيرهم كالبلاذري وابن الاثير من الالفاظ المولدة والمحدثة والموضوعة عند العلماء سدًّا للحاجة في عصرهم وعصرنا . ولا بد من امثلة على ذلك : اطلب مثلاً هذه الكلمات في معاجمهم فانك لا تقف عليها من أثر فالادوية الآتية وهي الزهرج والطاليسفر والفاغرة (لا اصل النيلوفر) والسنجسبوية والغلفلبوية لا وجود لها فيها . — والكيذ والمزاعمة والابتزاز والحصار والتشريق والكنار دُوزي والكنار شَبّي والتسيير بالمعاني التي يعقدها بها المنجمون والفلكيون غير معروفة في مصنفات لغتنا . واذا نقرت فيها عن الاسطرلاب الصدفيّ والمسرطن والمبطح فانك لا تجد لها ما يفيدك عنها ادنى فائدة . فاذا طالعت كتب المولدين في عهد العباسيين وكتاب الاغاني للاصبهاني فانك تجد ذكر السجاح والصياح والاسجاح والاضعاف والصحيح الإسجاح واذا سألت عنها اعلم موسيقيي العصرين المتقدم والمتأخر لم يستطيعوا ان يفيدوك ادنى فائدة وما النقص الأخلو المعاجم من هذه المصطلحات

ولهذا ترانا لا نعذر لغويي العصر من اهمال الالفاظ الحديثة الوضع كالجريدة والمجلة والمجهر والمنطاد والسيارة والبرقية ولسان البرق والقطار والخافلة والسلك واللاسلكي والمقالة والنبذة والمعتمد والمفوّض والاعتماد واللامركزي الى غيرها التي تعد بالعشرات مع انك ترى معاجم الافرنج يذكرون المصطلحات العلمية والفنية والاوضاع الحديثة وهذا ما يجب علينا ان نحتذيهم فيهِ

٢ً كثير من المعاجم الحديثة التأليف ادعى اصحابها انهم دونوا في مصنفاتهم جميع الالفاظ الواردة في كتب السلف اللغوية وزادوا عليها اشياء عثروا عليها في مطاوي ابحاثهم ومطالعاتهم . واذا استقريت بعض المواد وجدت فيها نقصاً . فانك لا تجد مثلاً في محيط المحيط واقرب الموارد ومدّ القاموس ومعجم فريتاغ هذه الكلمات مثلاً : العركل والعظرب والجعفلين والجُهْن والجهانة الى نحوها . لا ان هذه الكلم مما يحرص عليها بل انما نقول هذا القول ردًّا على بعض من ادعى تدوين جميع ما ورد في كتب السلف . ولهذا ازيد على ما تقدّم انهُ يجب على اللغويين المحدثين ان يطالعوا معاجم الاقدمين ككتاب العين والقاموس واللسان وتاج العروس والمصباح والصحاح واساس البلاغة وغيرها مطالعة كافية مادةً بعد مادة ولقط ما يوجد فيها ممَّا فات المحدثين ليصنعوا معاجم شاملة وافية . وان لا يكتفي المحدثون بذلك بل عليهم جمع ما تشتت من الفاظ المولدين والادباء والكتاب على اختلاف طبقاتهم لتكون الفائدة عامة . ويحسن بناشري كتب الاقدمين ان يذيلوها بما ورد فيها من

الالفاظ الغريبة او الخاصة بالمؤلف و بسط الشرح عليها كما يفعل الافرنج في يومنا هذا حتى اذا اراد اللغوي العصري ان يؤلف معجمهُ يهون عليهِ جمعها بدون مطالعة الكتاب كلهِ وهو مما يشق عليهِ · بل مما يشق على جماعة يصنفون معجماً واحداً في هذا المعنى فكيف بالواحد المستقل بنفسهِ

٣ً ومما يجدر بالنقد ان المحدثين خلطوا بين الفصيح والمولد والعامي والمستهجن والقبيح والمائت من الالفاظ وهو امر شنيع يستقبحهُ العرب وقد ادخلهُ الافرنج في تآليفهم الحديثة فاخذهُ عنهم صاحب محيط المحيط واقرب الموارد ومن اخذ عنهما · وقد صرح بعضهم ان الكلمة الفلانية هي عامية وهي ليست من ذلك في شيء ككلمة زغل وزغلول · ومنهم من قضى انها مولدة او مماتة والامر على غير ما توهموهُ · فعلى اللغوي الحديث ان يدرس طبقات اللغويين وطبقات الفاظهم ولا يمزج القبيح بالصحيح والحي بالمات والقديم بالحديث والمستهجن بالفصيح فهذهِ كلها من المساوىء التي لا تغتفر في لغتنا · او لا ترى الافرنج انفسهم قد وضعوا رموزاً لكل طبقة من الالفاظ فينبهون على صحيحها من سقيمها وقديمها من حديثها ودخيلها من صحيحها وموضوعها من منقولها الى غير هـذه مما تراهُ مدوَّناً في كتبهم

٤ً من غريب اعمال اللغويين المحدثين كصاحب محيط المحيط واقرب الموارد والمنجد ومعجم الطالب وغيرهم انهم ذكروا بعض الالفاظ في غير مظانها ومعاهدها وها انا ذا اسوق اليك مثلاً فانهم ذكروا كلمة « هوذا » في مادة (ه و ذ) وهو من اغرب الغرائب · اما اللغويون العارفون باصول الكلم الواقفون على الالفاظ اهل الاشتقاق والنحو فانهم ذكروها في مادة « ها » كما في لسان العرب والتاج والقاموس ونحوها

٥ً ان الاقدمين والمحدثين قد غلطوا أغلاطاً لا تحصى في معرفة الدخيل من الالفاظ فانهم قالوا ابليس من بلس وانها عربية واسطرلاب مركبة من اسم حكيم وضع هذه الآلة وكان اسمهُ (لاب) ثم وضع على آلاتهِ اسطراً فسميت : اسطرلاب · وقالوا : الخندريس من الخدرسة وقال صاحب محيط المحيط الحرباء معرب حُرْبَا بالفارسية (كذا مع انهُ ليس في لغة الفرس حرف الحاء) ومعناهُ : حافظ الشمس (كذا · وليس في الفارسية كلمة تقرب من هذا اللفظ و يراد بهِ الشمس او الحافظ او حافظ الشمس · والمعروف ان هذه الدويبة تعرف باسم « آفتاب پرست) ومعنى هذا اللفظ المركب : الساجد للشمس او العابد لها · فاين هذا من قول صاحب المحيط · اما اذا كانت اللفظة قد انتقلت من صورة الى صورة

فلا يكاد العرب ينتبهون لاصلها . فالرقين مثلاً لفظة تمني الدراهم وهي على وزن جريح الأ ان اصلها الرقين بكسر الاولين جمع رِقة في حالتي النصب والجر واصل رقة ورق كما قالوا اصل عدة وعد واصل ورق من الفارسية پَرَه و يقال فيها پاره وهي القطعة من كل شيء فاستعاروها للدراهم من باب التغليب وهي الكلمة التي نقلها الترك الى لغتهم بصورة پاره فاخذناها عنهم وقلنا پارة بالهاء المنقوطة باثنتين . ومعنى الورق على الصحيح هو المعروف عند الافرنج بكلمة Petite monnaie

٦ً ومما يجدر بالنقد ايضاً ان بعض المعاجم نسيت ان تنبه عن عجمة بعض الالفاظ او عامياتها او مولدها او سيئها او حوشيها او مماتها فاختلطت بالفصيح من الفاظ العرب وهو عيب شائن فالزَّبَدْ مثلاً اعجمية مصرية الاصل . وجهانة صفة لا موصوف واصلها فارسي وذكر بعضهم كفر يتاغ ومحيط المحيط الجهانة الشابة وهو خطأٌ وكان يجب ان تقرن بموصوف ليبين انها صفة فيقال شابة جهانة —وعندي انها من الفارسية « جوان » اي شاب مثل اللاتينية Juvenis والفرنسوية Jeune ويحتمل ان هاء جهانة للتأنيث وان مذكرها جهان تبعاً للاصل وقد ورد جيان بهذا المعنى ونقلهُ دوزي عن بعض العرب

٧ً ارى ان بعض اللغويين ضعيفو البصر في تحقيق بعض الالفاظ فالكشْ مثلاً عند العراقيين معروف عند صغارهم وكبارهم باديهم وحضريهم بمعنى المئبر وهو ما يلقح بهِ النخل فجاء في تاج العروس في مادة ابر : قال ابن الاعرابي : المئبر والمأبر : ما يلقح بهِ النخل كالحش انتهى . (كذا) وقال في هامش لسان العرب : المئبر كمنبر ما تلقح بهِ النخلة كالحش كذا في الاصل ولعلهُ كالمحش انتهى ما في الهامش . قلت انا : والاصح كالكش اي ان المئبر بمعنى الكش وهو ما يلقح بهِ النخل . فانظر كيف ان صاحبي اللسان والتاج لم يهتديا الى سواء السبيل . وقال صاحب التاج في مادة ك ش ش : الكش بالضم : الحرف (هكذا بالفاء في الآخر) الذي يلقح بهِ النخل . والاصح ان يقال الحرْق (وزان علم وبقاف في الآخر) وهو شمراخ النحال يلقح بهِ او الحرق (وزان قصب) وهو بالمعنى المذكور ويقال لهُ ايضاً الجُشْن (وزان قُفْل) . وقال الشرتوني في ذيل اقرب الموارد في مادة ابر : المئبر كمنبر ما تلقح بهِ النخلة كالحشْ وعلى هامش اللسان كذا في الاصل ولعلهُ كالمحش » اه كلامهُ . فانهُ هو ايضاً لم يهتدِ الى الحقيقة

ومن غريب هذه المعاجم على اختلاف حجمها وتحقيق اصحابها انها لم تحقق ان الدَّامَة (وزان قصب) والدمَّة (وزان حبة) والدَّامَه شيءٌ واحد لهذا اللعب المعروف عند الافرنج

باسم Jeu de dames وهو لعب قديم الاستعمال في الشرق وكان يعرفهُ قدماء المصريين كما رأيناهُ مصوراً في بعض رسومهم · واللفظة الافرنجية عربية النجار اذ اخذ الغربُ هذا اللعب عن الشرق

٨ً ومما يؤخذ عليهم انهم تلاعبوا ببعض الكلم العربية مما ورد في المتن او في الشرح فخبطوا فيها وخلطوا · قال في التاج : عسد يعسد · اهملهُ الجوهري وهو من حدّ ضرب : سار في الارض · هكذا في سائر النسخ وهو تصحيف قبيح وقع فيهِ · وذلك ان ابن دريد قال في الجمهرة « والعَسْد ايضاً الجَبْر فصحّفهُ المصنف بالسير ثم اشتق منهُ فعلاً فقال عسد يعسد اذا سار ولم ارَ لاحدٍ من ائمة اللغة ذكر العسد بمعنى السير فتامل وانصف » اه

وقال في القاموس : الممتش كمنبر · · والصواب الممتش على صيغة اسم المفعول والفاعل من امتشّ واصل الممتش من امتش وهو اللص الخارب

وجاء في تاج العروس في مادة مغش : أمغيشا · · · وكانت البسّ عيناً مالحة · وهو كلام مصحف واصلهُ · وكانت أُلَيْس (مصغرة مشددة اللام بعدها ياء ساكنة) من مَسالحها وقال : يوم البس والصحيح : يوم أُلَّيْس · اذ ليس عند العرب يوم يعرف بالبس بل بأُلَّيس · وقالوا في تعريف القفاعة : الحجارة التي تطفو والصواب الحجاة · وقالوا في ح ي ر : والنسبة الى الحيرة : حاريّ كما قالوا في تمر تمري (بتاء مثناة قبل الميم) والصحيح كما قالوا في نَمِر (بفتح فكسر) نَمري (بفتح فسكون) اذ لا شذوذ في النسبة الى التمر وانما الشذوذ الى النمر بفتح وسكون واذا نسب اليهِ تسكن الميم · والمراد من ذلك انهُ كما شذت النسبة الى النمر (بالنون) شذت النسبة الى الحيرة

وفسّروا الوكمة بالغيظة المُشْبَعَة والصيح بالغيضة المسبعة

وقال جميع اللغويين في تعريف ابي براقش : طائر صغير بري كالقنفذ · والصحيح كالقنبر وهل يُشبَّه الطوئير بالقنفذ ولا مناسبة بينهما · ثم زادوا التعريف غرابة انهم قالوا : ولهُ ست قوائم والظاهر ان اول من عرّف هذا الطائر ورآهُ كان احول فرأى الزوج زوجين ثم نظر الى ظلها فظنها لهُ فقال ما قال ولم ينتبه الى ان لكلّ طائر رجلين لا غير · على ان الاقدمين اذا عذروا في تعريفهم القديم السقيم فلا يعذر المحدثون الذين ينقلون مثل هذه السخافات التي لا معنى لها اليوم

والاغلاط في التعريف اكثر من ان تحصى · راجع مثلا تعريفهم لليعسوب والفار والجرذ ونحوها من علم الحيوان · والنفاطير او التفاطير لحبّ الصبا او الشباب فكل ذلك

من التعاريف القديمة التي لا يهتدى الى معناها الاَّ بعد الجد والجهد

٩ً من مزايا المعاجم اللغوية الوقوف على معنى الغريب من الالفاظ · والحال انا نجد بعضهم يُفسّر اللفظ المألوف بلفظ عويص غامض فقد جاء في القاموس : الحِبْر: النقس ولو شرح اللفظة وقال : المادة السائلة التي يكتب بها لاصاب وادّى المراد · وفسروا القنفذ بالشَيْهم والجُهْن بالجُون الى غيرها مما لا حاجة الى ايراده لان مقامنا هنا مقام تذكير لا مقام تفصيل

١٠ً في اغلب المعاجم اغلاط صرفية مخالفة لنصوص او اصول او قواعد النحاة · قال في محيط المحيط في مادة « ال و » : والأَلوة والأُلوة والأَليَة والأَليًا : القسم ج الاَبَا والحقيقة ان ألاَيَا جمع أَليَّة او أَليًّا وليست جمع الوة المثلثة الهمزة فان جمع هذه هي أُلى بضم الهمزة وبكسرها · وجمع بعضهم القس على قساوسة وهو خطأ والصواب ان القساوسة جمع قسيس مثل شماس وشمامسة وجمع فعال وفعيل وفعول المشددة من باب واحد · وجمعوا اتون على اتانين بنونين في الآخر يفصلها ياء (ورد هذا الجمع في التاج والقاموس وتاج العروس وغيرها) والاصح اتاتين كما نبَّه عليه صاحب المصباح وورد في كلام الاقدمين وشعرهم المتين

١١ً كثيراً ما قال اللغويون مع الصرفيين اشياء جازمين فيها عدم وجود مثلها او ندرتها او حصر عددها · اما حقيقة الامر فليست كذلك · مثلاً : قال التاج في مادة سقف : « اسقف النصارى · زاد غيرهُ : وأُسقُفّهم كارْدُنّ اي بضم الاول وتشديد الآخر وعليهِ اقتصر ابن السكيت فيما نقلهُ الجوهري : ولا نظير لهُ سوى أُسرُبّ » اه · والحال قد ورد غيرهما في كلام العرب كأُتْرُجّ وأُشْكُزّ

وقال الفارابي في ديوان الادب « لم يأتِ على فُعلال شيء من اسماء العرب الرباعي السالم الاَّ مكرراً نحو الفسطاط والقرطاط · فاما القسطاس فحرف رومي وقع الى العرب فتكلمت بهِ · وقيل : القسطاس : الصيرفي · وقال الاصمعي : القرناس : حرف الجبل ...» قلت : وجاء القرطاس (وهي مثلثة) والدقناس (طائر) والبرجاس والسرحاب وبلغار وبرطاس وغيرها · فاطلاق النفي في كتبهم في غير موضعهِ

وفي التاج في مادة زند وجمعها على ازناد ما حرفهُ : « اما ازناد فشاذ ولا نظير لهُ الاَّ فرخ وافراخ وحمل وأَحمال لا رابع لها كما قالهُ ابن هشام · والحال اني قد جمعتُ نحو مائة كلمة جمع فيها فعل المفتوح الفاء على افعال منها طنف واطناف نسر وانسار نهر وانهار

عُدّوا عراد نبذ وانباذ جمل واجمال (بمعنى جَمَل بالتحريك) الى غيرها مما يطول ذكره . وفي كتب اللغة كثير من مثل هذا الاطلاق وكذلك في كتب الصرفيين والنحاة وهو مما يحتاج الى ان ينظر فيهِ ويصحح لان عصر النقل عن الائمة بدون نقد كلامهم قد ذهب مع من ذهب

١٢ أدخلَ العرب الفاظاً اعجمية واساؤُوا نقل معانيها فقد قالوا : « الشكيمة كسفينة الانفة والانتصار من الظلم وايضاً العهد وايضاً الشم . هكذا في النسخ والاولى الشمم . وفي بعض النسخ : والفهد والسم وهو غلط وبكل ما ذكر فُسِّر قولهم ذو شكيمة (انتهى عن تاج العروس)

قلتُ هكذا فسرها اغلب اللغويين . اما الشكيمة بمعنى العهد فغريب اذ ليس في المادة ما يؤيد هذا المعنى . واما الشم فكذلك بعيد بخلاف الشمم فقد يقرب من معنى الانفة فان ابتعد عنهُ شيئاً في المعنى فمحتمل في العربية والمثُل فيها اكثر من ان تحصى . واما السمّ فهو ابعد ما يكون . والصحيح عندنا ان معاني الشكيمة هنا الفهد والسُّمور فتكون تعريب الشكم (كقنب) او الاشكم (كامحل) وهما جلد الفهد او السمور يُسلخ من قبل البطن . والفهد هنا بمعنى الوشق loup-cervier . اما لفظة السمّ فما هي الاّ تصحيف السمور وهذه تصحيف السموم ثم لما رأى النَقَلة ان لا مناسبة للسموم المجموعة للدلالة على الشكيمة وهي مفردة فردوها وقالوا السمّ . وهذا هو سرّ اختلاف اللغويين في شرح هذه اللفظة بمانٍ مختلفة

وقالوا في تعريب التُفَّة : قال الاصمعي : التفة دويبة كجرو الكلب . قال : وقد رايتها او كالفارة (كذا بفاء) وهذا نقلهُ ابن دريد وقد انكرهُ الاصمعي . — قلت : انما انكر الاصمعي هذا التشبيه لانهُ قرأها كالفارة بالفاء وانما هي كالقارة بالقاف وهي الدُبَّة ومشابهة القفة للدبة امر مشهور ذهب اليهِ علماء الافرنج ايضاً في العهد الاول وفي هذا العهد . وهو احسن من قول الاصمعي : دويبة كجرو الكلب . لاسيما لاننا نعلم ان المراد بالتفة الدابة التي قال عنها الصاغاني ما يثبت وصفها احسن الوصف اذ ذكر انها من « الجوارح الصائدة ثم زاد : وكانت عندي منها عدة دواب وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة ويقال لها الفنجل وعناق الارق وفارسيتهُ « سياه كوش » وبالتركية « قرا قلاغ » وبالبربرية « بنه كدود » ومعنى الكل « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البرابرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : واول ما رايت هذه الدابة في مقدشوه » انتهى

وقال في التاج في آخر مادة ه ر ف : ومما يستدرك عليهِ « يهرفُ » كيضرب اسم سبع سمي بهِ لكثرة صوتهِ » انتهى . قلت : وهو مبني على قول ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٥) : ويقال لبعض السباع هو يهرف بصوتهِ اي يتزيد فيهِ انتهى . فالظاهر ان صاحب التاج قرأ من العبارة : ويقال لبعض السباع : يهرف ولم ينتبه الى ما قبلها وما بعدها اما انت فتيقظ

هذا بعض مغامز دواوين لغتنا ذكرتهُ على سبيل التنبيه ليعلم الناس ان كتبنا تحتاج الى اصلاح ونقد من كل جهة ليكون عندنا منها ما يعتمد عليهِ ولا نبقى على ما كنا في سابق العهد متتبعين خطوات الاقدمين خطوة بخطوة ولا نبتعد عنهم قيد شعرة . فهذا زمن قد خلا هو واصحابهُ وما علينا الاَّ السير في طريق جديدة طريق التحقيق والتدقيق طريق الجهد والنقد طريق السعي والفلاح والحمد لله اولاً وآخراً امكح

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

جلسة ١٧ دسمبر ١٩١٥

قال السر اوليفر لدج كنت اتكلم مع مسز كندي وللحال جعلت يدها تكتب فكتبت ما يأتي . مضى عليَّ مدة طويلة فقولي لابي اني هنا انا ريمند

لدج — يا ولدي

ريمند — يصعب عليَّ يا ابي ان اعبر عن كل ما اشعر بهِ اما الآن فلا مناص من القول اني احبك يا ابي احبك حبًّا جمًّا

لدج — انا اعرف ذلك يا ابني فهل تريد ان تقول شيئًا لامك واخوتك

ريمند — كنت هنا اليوم وكلمت امي ولكنني لا ادري هل سمعتني . فقُل لها ذلك وقبّلها عني

لدج — حلمت بك حلمًا واضحًا منذ عهد قريب رأَتك في رؤْيا عند الفجر

ريمند — لا شبهة في انها ستراني فاني في الغالب قريب منها ولكنني لا اعلم هل رأَتني قبل الآن

لدج — لقد دنا عيد الميلاد يا ريمند

ريمند — نعم وسأحضر معكم · ابتهجوا والاَّ احزنتموني · الامر صعب عليكم ولكن يجب ان تعلموا الآن اني على ما يرام ومرادي ان لا اغيب لحظة عن البيت يوم عيد الميلاد

وقالت مسز كندي حينئذٍ انهُ ذهب ليأتي ببولس · ثم عاد فكتبت يدها ما يأتي

اتيت بميرس فقال انهُ جاء ليقول لك كلمتين ثم قال ميرس « انطلق وتقدَّم ولا تدعهم يعيقونك هيَّا بنا يا لدج » ميرس (اي كتبت يدها تحت هذا الكلام كلمة ميرس »

ريمند — قولي لابي انهُ ذهب

فقال السر اوليفر ما معنى ذلك فقالت مسز كندي لا ادري

لدج — أمضى ميرس

ميرس — تكلمتُ وساتكلم اذا لم تضطربي · لا تفكري والاَّ فلا فائدة قولي للدج لا اقدر ان اصف لهُ مقدار حبي لابنهِ فاني اشعر كأَن ابني نفسهُ معي · سامحيني لانني قلما استعين بكِ على مخاطبة الناس

مسز كندي — هل معناك انني اضطرب وأنا انقل الرسالة منك

ميرس — نعم

لدج — ألا يزال ريمند هنا نعم

لدج — أتعلم يا ريمند ان مسز تشيفس ام الكبتن تشيفس ارسلت لنا صورتك الفوتوغرافية ريمند — نعم عرفت ان الصورة وصلت اليكم

لدج — وهي مثل وصفك لها ورأينا صورة الرجل المتكيء عليك · فهل صُوّرتَ صورة أخرى

مسز كندي — قال انهُ تصور اربع صور · انقول اربع صور نعم اربع صور

لدج — نعم عندنا الصور التي صُوّرتها وحدك ولكن هل صُورتَ مع غيرك من الضباط

ريمند — سمعت يا ابي وسانظر ولكنني اظن ان عندكم الآن الصورة التي كنت اعنيها وقد رأيتك تنظر اليها وسمعت كل ما قلتهُ · قولي لابي انني سررت جدًّا

لدج — لي سؤَال يا ريمند قبلما تمضي هل رأيت المسيح

ريمند — ساراهُ يا ابي بعد قليل لم يحن الوقت لذلك لاني غير مستعد لمشاهدتهِ ولكنني اعلم انهُ حي وانهُ يأتي الى هنا · وكل الحزانى يرونهُ اذا لم يساعدهم احد وقد رآهُ بولس فانهُ تألَّم كثيرًا اما انا فلا انتظر ان اراهُ الآن وسأُسر برؤْيتهِ حينما يحين الوقت

لدج — سيكون عيد الميلاد من ابهج الاعياد علينا الآن

ريمند — قل لامي ان ابنها سيكون معها كل النهار يوم عيد الميلاد · وسيحضر الوف والوف منا الى بيوتهم في ذلك اليوم ولكن الامر المحزن ان كثيرين منهم لا يجدون مَن يتأهل بهم · فابقوا لي مكاناً · والآن لا بدَّ لي من الذهاب · انتهى

وواضح من هذه الجلسة انهُ اذا كان السوءال مما نعرف مسز كنيدي جوابهُ او مما ليس لهُ جواب محدود اجابت عنهُ بالتفصيل والأ حاولت محاولةً او تكلمت كلاماً عمومياً فان ريمند تصوَّر مع الضباط اكثر من صورة واحدة والظاهر ان مسز كنيدي كانت تجهل ذلك فنقلت عن ريمند كلام مراوغة

وجاء يوم عيد الميلاد وقال السر اوليفر لدج انهم جلسوا فيهِ حول المائدة للتكلم مع ريمند وسروا بهِ وغنوا كثيراً وكان كأَنهُ حاضر معهم يقودهم في الغناء · ثم قال انهُ لا يرى ان ينشر شيئاً مما قيل حينئذٍ بل فضَّل ان ينشر ما جرى في بعض الجلسات الاخيرة ومن ذلك جلسة في بيتهِ في ٢ مارس ١٩١٦ مع سيدة اسمها مس ود ويطلق عليها عندهم اسم ودي كانت في زيارتهم ويظهر من كلامهِ عنها انهم يعرفونها من عهد طويل وانها كانت تكثر التردد اليهم حتى حرفوا اسمها كما يفعل الصغار في تحريف اسماء الذين يألفونهم

جلسة ٤ فبراير ١٩١٦

هذه من اغرب الجلسات بما قالهُ فيها ريمند عن السماء او الفلك الاعلى حيث شاهد السيد المسيح وكانت الجلسة مع مسز ليونار التي تتكلم بلسان مرشدتها فدى او بما يقوم في نفسها وهي في حالة الاستهواء ومما قالتهُ عن لسان ريمند قولهُ لامهِ وكانت قد سألتهُ هل الجميع في السماء على درجة واحدة فقال ان الدرجات حسب الفضائل والكل يمرون اولاً على الدرجات السفلى لكي يزيدوا اختباراً أما هو فانهُ الآن في الدرجة الثالثة أو الفلك الثالث المسمى سمرلند وهو مكان طيب جيداً وقريب من الارض حتى يسهل عليهِ النزول اليها والوصول الى سكانها ثم قال انهُ ذهب الى مكان غاية في البهجة · فقالت لهُ وما هو فقال الله اعلم فقد أُذن لي في ان ارى ما في الفلك الاعلى من حيث تأتينا الارواح العليا ولا اظنني استطيع ان اصفهُ لك حتى تستطيعي تصورهُ

(وهنا وقف السر اوليفر لدج عن الكلام وقال انهُ لا يستنسب نشر ما قالهُ ابنهُ من وصف ذلك الفلك قبل ان تثبت ادلة الحياة بعد الموت ثبوتاً يقنع الجمهور ولكنهُ لم يرَ من الحكمة ان يمتنع عن نشر ما شعر بهِ ابنهُ على اثر ما رآهُ فقد قال انهُ شعر بانهُ ارتقى وتطهر وابتهج وكان جاثياً على ركبتيهِ وهاك ما قالهُ بعيد ذلك)

« عرتني رجفة يا اماه من رأسي الى قدمي لم يدنُ مني (اي السيد المسيح) ولم احاول الدنو منهُ وكان صوتهُ كجرس في اذنيّ ولا استطيع ان اصف لكِ لباسهُ فانهُ كان في غلالة من نور ساطع مختلف الالوان . لا ادري ماذا عملت حتى اتيح لي ان ارى هـذا المنظر البهيج . لم اكن احسب اني اصير اهلاً لذلك الأ بعد السنين الطوال . اني عاجز عن وصف ما شعرت بهِ فهل يفهمني احد . انتِ وابي تفهمان ولكني اود ان يفهمني غيركما ايضاً . وكلامي يعجز عن التعبير حملت حملاً في رجوعي الى سمرلند ولما وصلت اليها شعرت كاني أُعطيت قوة جديدة استطيع بها ان اوقف جريان الانهار وان انقل الجبال

« وقد سُرَّ ميرس بما جرى لي وقال ان البلوغ الى الفلك الاعلى ليس خاصًّا برجال الدين . والعبرة بما يعملهُ الانسان لا بما يؤمن بهِ فاذا لم تؤمن بالخلود ولكنك عملت عمل مَن يؤمن بهِ فعشت عيشة راضية وتركت ما لا تفهمهُ فهذا كل ما يُطلَب منك . فما اسهل ما يطلب من الانسان حتى لقد يُظن ان كل الناس يعملون بهِ ولكن ما اقل العاملين

« ونحن هنا ننتظر ان تتغير الاحوال تغيراً كبيراً على الارض . وفي غضون خمس سنوات يكثر الذين يتوخون معرفة ما في الحياة الاخرى وكيف يجب ان يعيشوا على الارض حتى يكونوا في حالة صالحة حينما يأتون الى هنا »

جلسة ٢ مارس ١٩١٦

كانت هذه الجلسة حول مائدة في بيت السر اوليفر لدج ولم يحضرها وسيط من الوسطاء المعهودين بل حضرتها لادي لدج وابنتها اونور ومس ود المسماة ودي وهي التي تولت كتابة ما جرى وقالت ان هذه اول جلسة حضرتها من هذا النوع . وهاك خلاصة ما كتبتهُ :

« لما عزمنا على الجلوس حول المائدة قالت لادي لدج اننا نصلي دائماً صلاة مختصرة قبل الجلوس فظننتُ انها عازمة ان تصلي بصوت عالٍ لكنها لم تفعل ذلك بل صلّت في سرها ففعلت انا مثلها وكنت قد صليت ايضاً وانا في غرفتي . وجلسنا حول المائدة ومضت مدة ولم يحدث شيء وكل ما كنت اشعر بهِ شدة برد المائدة . وبعد نحو نصف ساعة قالت لادي لدج لا اظن انهُ عازم على الحضور ومع ذلك ننتظر قليلاً ايضاً ثم نمضي . وبعد قليل قالت هل حضر احد الليلة لكي يكلمنا . تعال يا ريمند اذا استطعت لاننا نريد ان نري ودي ما هي الجلسة يا حبيبي اتظن انك تستطيع ان تحضر

فلم تتحرك المائدة اي لم تجب بشيء لا سلباً ولا ايجاباً

وفي مدة نصف الساعة الاولى قبلما تكلمت لادي لدج كنت اشعر بدغدغة في كفيَّ واصابعي ثم شعرت كان شيئًا حاول مدَّ يديَّ وكأَنَّ فقاعة هواءٍ خرجت من المائدة ولطمت راحتيَّ شعرت بها في الاول مرةً واحدة ثم ثلاث مرات ثم اثنتي عشرة مرة ثم شعرت كأنَّ صوتًا خرج من وسط المائدة . وكلما شعرت بشيءٍ من ذلك كانت لادي لدج تسأَلني هل حركتُ يديَّ وان كنت قد حركتها فيكون ذلك على غير قصد مني فلم اقل شيئًا ثم قالت هي ونورا ما هذا فان المائدة لم تفعل مثل ذلك قبلاً . فاخبرتهما حينئذٍ بما شعرت بهِ

لادي لدج — هل ننتظر مجيءَ احد فاننا نود جدًّا ان يحضر احد بعد هذا الصبر الطويل ولكن لا مجيب . فقالت لا اظن اننا سنفلح هذه النوبة . فقلت لها اصبري قليلاً فان الدغدغة عادت الى يديَّ . وقالت اونور نعم واظن انهُ يوجد شيء . وحينئذٍ شرعت المائدة تتحرك فقالت لادي لدج يا حبيبي ريمند اهذا انت

فتحركت المائدة ثلاثًا (اي نعم)

لادي لدج — احسنت لان ودي كانت مشتاقة جدًّا الى حضورك

فتحركت المائدة ذهابًا وايابًا حركات تدل على السرور والابتهاج

ودي — اتظن ان فيَّ قوة نفسية المائدة — لا

لادي لدج — ذهبت لورنا (اختهُ) لتمرّض الجنود وهم مصابون بالتيفويد اتظن انها تعدى منهم المائدة — لا

لادي لدج — اتستصوب ذهابها المائدة — نعم

لادي لدج — اراك تهز المائدة كانها حصان من خشب اتتذكر حصان الخشب في نيوكاسل المائدة — نعم

لادي لدج — اتقدر ان تذكر لنا اسمهُ . وتليت حروف الهجاء حينئذٍ فوقفت عند الحروف التي مجموعها كلمة برنس (وكان يسمى ارتشر برنس)

ثم تحركت المائدة حركات القلق فقالت اختهُ اونور اراهُ يريد ان يخبرنا شيئًا فتلوا حروف الهجاء فوقفت عند الحروف التي مجموعها «محبتك لاختي الصغيرة» ولما تمت العبارة تلوناها عليهِ فاظهر بحركات المائدة الابتهاج الشديد ولاسيما عند ذكر كلمة «اختي» فقالت امهُ اتعني اختك للي . فقالت المائدة نعم . فقالت امهُ هل هي هنا . فقالت المائدة نعم فقالت امهُ اهي هنا في هذه الغرفة . فقالت المائدة نعم . فقالت امهُ اتستطيع للي ان ترانا . فقالت المائدة لا . فقالت امهُ يا حبيبتي للي ان امك تحبك جدًّا وسآتي واراك يومًا ما

واسعد برؤيتك يا حبيبتي فلقد احسنتِ بمجيئك مع ريمند فساعديهِ دائماً على الحضور الى ان يصير قادراً على الحضور وحده . سلمي على اخيك بِل

وظهر حينئذٍ كأن المائدة تحاول ان تقع في حضن لادي لدج ثم شعرنا كأن ريمند يريد ان يمضي فسألناه هل هذه رغبتهُ فقالت المائدة نعم فودعناه وذهب . انتهى

ويظهر لنا ان قيام هؤلاء النساء الاربع حول المائدة نصف ساعة كافٍ لاستهوائهن مع ما فيهن من الاستعداد لذلك وان الجلسة قصرت لانهُ لم يكن هناك وسيطة مثل مسز ليونارد ومسز كندي تطيلانها بالكلام الفارغ كما تشاءان . وان مس ود كتبت ما كتبت بعد الجلسة لا في اثنائها لان يديها كانتا موضوعتين على المائدة حينئذٍ فيحتمل انها كتبت ما قام في وهمها لا ما حدث حقيقة

جلستا ٣ مارس ١٩١٦

دبرت جلستان لاجل الامتحان واقامة الدليل الاولى جلسها السر اوليفر لدج في بيت مسز كندي وكان هناك امرأة اسمها مسز كلغ قال انها من اللواتي تتصل بهن ارواح الموتى باعظم سهولة فيصرن آلة في يدها . ووصل السر اوليفر لدج الى بيت مسز كندي قبيل الظهر وجلس معها في غرفة الاستقبال ودخلت حينئذٍ مسز كلغ وقالت أهذا هو الرجل الذي يراد ان اجلس معهُ فقالت لها مسز كندي نعم واجلستها على كرسي قرب الموقد . وللحال وقع عليها السبات فقالت انها تجد الغرفة ملأى بالناس وانها سمعت واحداً يذكر اسم السر اوليفر لدج . فسألت هل من احد هنا يعرفهُ فقلت لها انا اعرفهُ . ثم قالت من هو ريمند ريمند ريمند فانهُ واقف الى جانبي . ثم اغمي عليها او اصابها البحران وجعلت تتشنج وتتنهد كأن قُطع نَفَسهُ ثم قالت ساعدوني ساعدوني هاتوا الطبيب . وبعد قليل هدأ روعها ثم جعلت تقول انا مبسوط يا ابي قل لامي . واستمرت على مثل هذه الاقوال وهي تضع يديها عليَّ كأنها تريد ان تعتنقني وتظهر معظم بهجتها بما تعجز عن التعبير عنهُ بالكلام كأن ريمند نفسهُ حلَّ فيها . وثبت لي ذلك من انها صارت تتكلم كأنها ريمند نفسهُ فذكر ان مسدسهُ لم يُعَد وانهُ لم يتم كتابة الصفحة الاخيرة من يوميتهِ واخيراً ودعنا وجاء بدلاً منهُ روح شخص آخر من الضباط فجعلت مسز كلغ تتكلم بصوت الآمر الناهي . ثم ذهب هذا واتى مرشدها واسمهُ هوب فاخذت تتكلم بلسانهِ كلاماً جليًّا منسجماً

والجلسة الثانية جلسها السر اوليفر لدج مع مسز ليونارد في بيتها وكان رجل من رفاقهِ اسمهُ سونتشين قد قصدها هو وزوجتهُ وهي لا تعرف مَن هما لكي يستخبراها عن ابنهما وكان

مهندساً وقد وقع عن جبل مغطًّى بالثلج واختفى اثرهُ وكان ريمند يعرفهُ فحضر واخبرها عنهُ انهُ توفي من غير الم · فلما جلس السر اوليفر لدج مع مسز ليونارد حضرت مرشدتها فدى حالاً وقالت ان ريمند حضر ايضاً واشارت الى حضورهِ في الجلسة السابقة لمساعدة الاستاذ سونتشين وزوجتهِ ولم يكن السر اوليفر يعلم ذلك ثم قالت انهُ حضر مع بولس اليوم الى بيت ام بولس ولكن لم تكن الجلسة مع ام بولس بل مع سيدة أُخرى كبيرة السن[1] واراد ان يتكلم بواسطتها لكنهُ وجد الكلام بواسطتها صعباً

لدج — ومن كان هناك ايضاً

فدى — لا يعلم لان الامور لم تنجلِ لهُ بل كان كأَنهُ في ضباب (ثم انتقل الكلام من ضمير الغائب الى المتكلم فتكلمت بلسان ريمند قائلة) ماذا اصاب تلك المرأَة حتى صارت تتخبَّط فظننت انني امرضتها فلو لزمت السكوت لسهل الامر وقد حاولت مسز كندي مساعدتها فلم تفلح ولا استطيع ان اعمل بواسطتها ما يكون امتحاناً دقيقاً ولو استطعت ان اتحكم فيها (وعادت الى الكلام عن ريمند بضمير الغائب) وقد ضحك عليها هو وبولس ·· وكان واثقاً انك انت هناك وان مسز كندي هناك ايضاً ولكن كل شيء كان مضطرباً ويطلب منك اذا اردت ان تمتحنهُ او تمتحنهُ في احوال متشابهة[2]

ويلي ذلك كلام عن اناس آخرين ان لم تكن مسز ليونارد عارفة باخبارهم فالإِخبار عنهم من قبيل المعجزات ولكن ان كانت عارفة باخبارهم فقد خدعت السر اوليفر لدج وكذلك وصفت لهُ بلسان ابنهِ كيف يجلس في بيتهِ ويكتب او ينقح وقال ان وصفها صحيح فان لم تكن عارفة بذلك فهو من الغرابة بمكان كوصفها لخيام نصبها اولادهُ وقضوا فيها بعض ايام النزهة ولقارب قائم على عجل ولهُ شراع يجري بهِ على الرمل · والوصف حسن ولولم يكن صريحاً وقد رسم صور ذلك الفوتوغرافية في كتابهِ · ومن رأْيهِ ان فدى عرفت الوصف من شعورها بما هو قائم في ذهنهِ بالتلبثي ان لم تكن قد عرفتهُ من روح ريمند نفسهِ · مع ان هناك فرضاً آخر اقرب الى المعقول من هذا ومن ذاك وهو ان مسز ليونارد رأَت هذه الصور

(١) وقد علق السر اوليفر لدج على هذا الكلام شأْناً كبيراً لان الاشارة فيهِ الى مسز كلغ ولم تكن فدى تعلم شيئاً عن جلستهِ مع مسز كلغ صباح ذلك اليوم · وهذا يصح اذا لم يكن في الامر غش مطلقاً ولكن ما ادرانا انهُ لم يكد يخرج من بيت مسز كندي حتى جعلت تكلم من في بيت مسز ليونارد بالتلفون مخبرة بما حدث في بيتها · والعالِم مطية الجاهل (٢) وقد اعجب السر اوليفر بهذه الاشارات الى جلستهِ مع مسز كلغ حاسباً ان كل ما جرى لا غشَّ فيهِ مطلقاً

الفونوغرافية في بيتهِ وسمعت قصتها فوصفتها لهُ الآن ٠ وان كانت عالمة بما فعلت فهي خادعة وان كانت غير عالمة فهي غير خادعة بل معبّرة عمَّا في ذهنها الباطن على غير قصد منها ٠ وقد اتهمت مسز ليونارد بوصف هذه الاشياء لانها علمت ان السر اوليفر لدج كان قاصداً ان يمتحن صحة تجلي ابنهِ لها بالاستعلام منهُ عن امور لا تعلمها هي فتركها تختار الامور التي تريدها · وعندنا انهُ كان عليهِ ان يختار هو الامور التي يعلم جيداً ان ابنهُ يعرفها وهي لا تعرفها كبعض القوانين الرياضية والطبيعية كما قلنا في الجزء الماضي

ثم طلب من فدى ان تسأل ريمند عن طائر في حديقة بيتهِ ٠ فقالت نعم قال انهُ كان يقفز من مكان الى آخر ٠ فقال السر اوليفر دعينا من الطيور واسأليهِ عن المستر جكسن

وكان هذا اسم طاووس في حديقة البيت اصيب بمرض في رجليهِ ثم وُجد ذات يوم ميتاً كأنهُ وقع من شدة البرد ودق رقبتهُ قبل هذه الجلسة ببضعة ايام فاستدعت لادي لدج رجلاً ليصبرهُ وارتهُ قائمة من الخشب كانت تريد ان تنصبهُ عليها مصبراً · وكان كلام فدى عنهُ مطابقاً للواقع ولا يحتمل ان تكون مسز ليونارد عرفت عن تصبيرهِ من احد لان السر اوليفر قال ان آخر شيء رآهُ حينما خرج من بيتهِ ليأتي الى بيتها كان الرجل الذي استدعتهُ لادي لدج ليصبر الطاووس · وقد علل معرفتها ذلك اما ان روح ريمند عرفت ما جرى فاخبرت فدى بهِ واما ان عقلها تأثر مما في عقل السر اوليفر بالتلبثي · وعندنا ان هناك فرضاً آخر وهو ان السر اوليفر لدج نفسهُ اصيب بشيء من الذهول وهو امام الوسيطة فكان يسمع ما هو قائم في ذهنهِ لاسيما وان كلامها بلسان فدى غير جلي · ومن مزايا هذه الوسيطة انها تتكلم بانكليزية مكسرة مختلة واذا طُرح عليها سؤال لا تعلمهُ ارتبكت ولجأت الى المراوغة ٠ سألها السر اوليفر في هذه الجلسة لتسأل ريمند هل حضر منذ عهد قريب في جلسة اخرى استدعاهُ اليها شخص آخر فقالت ما ترجمتهُ « لا يقول كثيراً كلا لا يقول لا شيء عن ذلك قوّتهُ غير عظيمة ويخشى ان يغلط · اني اودعك الآن يا ابي اهدِ محبتي الى امي صرت الآن اقرب اليك مما كنت قبلاً ولكنني لست احمق حتى لا اظهر ذلك ٠ اهدي محبتي الى الجميع · ليونل ولد محبوب · محبتي للجميع » ٠ الى غير ذلك من الاقوال المألوفة مع ان السر اوليفر اشار الى جلسة جلسها المستر هل مع بيترس الوسيط في ذلك الوقت واستدعوا فيها روح ريمند فلما لم تكن مسز ليونارد عارفة بها اجابت بالمحاولة والمراوغة كما تقدم ومع ذلك كتب السر اوليفر لدج في آخر ما كتبهُ عن هذه الجلسة «انها كانت على غاية ما يرام وفيها امور كثيرة مؤيدة بالبرهان»

جلسة ١٧ ابريل ١٩١٦

كانت في بيت السر اوليفرلدج وكتبت لادي لدج ما جرى فيها قالت كنت انا وابناي وبناتي الاربع في غرفة الاستقبال وابناها اسكندر وليونل ومس وُد وكان البنات واخوهم اسكندر يغنون و ينقرون على البيانو فقالت مس ود انها تشعر كأن ريمند في الغرفة معهم جاء يسمع الموسيقى فاتيت بالمائدة التي نضع ايدينا عليها ووضعتها قرب البيانو ووضعت ابنتي اونور يدها عليها وللحال جعلت تهتز فوضعت انا يدي ايضاً وسألناه هل ريمند هنا فاجابت نعم وجعلت تتحرك حسب حركة الاصوات الموسيقية كأن ريمند كان يشارك اخوته في غنائهم واتى ليونل ووضع يده معنا . وكنا نحاول ابعاد المائدة عن البيانو وهي تحاول الاقتراب منهُ فجاء اسكندر بوسادة ووضعها بينها و بين البيانو لكي لا تؤثر في صوته لكنها ظلت تحاول الالتصاق بهِ الى ان خرقت الوسادة . ثم جعلت تحرك رجلاً من ارجلها الثلاث وكان هناك لوح علوهُ نصف قدم ممتد على دائر ارض الغرفة في اسفل جدرانها فوضعت المائدة رجلها على اعلاهُ ورفعت الرجلين الاخريين في الهواء وجعلت تكرر ذلك مرةً بعد اخرى على سبيل اللعب والفكاهة ثم ارتمت على الارض فقلنا لها هل نساعدك على النهوض فاجابت كلاَّ وحاولت النهوض من تلقاء نفسها فعجزت فعرضنا مساعدتنا عليها فابت فقال ليونل مخاطباً ريمند «ان يدي تحت المائدة وانا متضايق من جراء ذلك افلا تسمح لي برفع المائدة» فضربت المائدة ثلاث ضربات اي قالت نعم فرفعناها . ثم قلتُ انا اني اريد ان اسألك يا ريمند سؤالاً على سبيل الامتحان ما هو اسم الفلك الذي انت فيهِ الآن (لانني كنت قد سمعت ان ريمند قال لمسز ليونارد انهم في الفلك الثالث وان اسم هذا الفلك سمرلند (اي بلاد الصيف) فحسبت ان ذلك من عندیات مسز ليونارد . وامر هذه الافلاك لا ينطبق على عقلي ولكن قد يكون المراد بها الاحوال التي تكون فيها النفس . ثم تلونا حروف الهجاء فوقفت المائدة عند هذه الحروف Summerrlodge فسألناها الم يقع خطأ في تكرير الحرف r وفي حروف lodge بدل land فاجابت بالنفي اما انا فبقيت معتقدة ان ذلك خطأ ثم عرفت ان الذي كتب ما حدث في الجلسة المشار اليها آنفاً مع مسز ليونارد كتب هذه الكلمة هكذا Summer R. Lodge كما هجيت لنا »

وعلّق السر اوليفر لدج على ارتفاع ارجل المائدة انهُ لا يؤكد انها تحركت كذلك من تلقاء نفسها ولكنهُ يؤكد انهُ لم يحركها احد قصداً او وهو شاعر انهُ حركها

طرائف من ادب العرب

(٦)

حول لفظتين

«من كتاب تقويم اللسان لابن الجوزي : جواب لا يجمع وقول العامة اجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي . حاجات وحاج جمع حاجة وحوائج غلط . يقال الحمد لله كان كذا ولا يقال الحمد لله الذي كان كذا . العروس يقال للرجل والمرأة لا للمرأة فقط . لا يقال كثرت عيلتهُ انما يقال كثرت عيالهُ والعيلة الفقر »

هذا مانقل صاحب الكشكول عن ابن الجوزي ولم يخالفهُ فيهِ ولا علّق عليهِ بشيءٍ . اما انا فاقول :

جاء في محيط البستاني : الحاجة السؤل ج حاج وحاجات وحوائج على غير قياس كانهم جمعوا حائجة . وهو كما قالوا عوائد في جمع عادة . وكان الاصمعي ينكرهُ ويقول هومولّد . وانما انكرهُ لخروجهِ عن القياس والاّ فهو كثير في كلام العرب . ويُنشد لبعضهم

نهار المرء امثلُ حين يقضي حوائجهُ من الليل الطويل »

انتهى . وقد اشار تاج العروس الى قول الاصمعي « هو مولّد » وقال : اما قولهُ انهُ مولّد فانهُ خطاء منهُ لانهُ قد جاء ذلك في الاحاديث وفي اشعار العرب الفصحاء . فما جاء في الحديث ما روي عن ابن عُمَر ان رسول الله (صلعم) قال ان لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم » الخ . وفي الحديث ايضاً ان الرسول قال « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه » . و « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » . ثم اورد ابياتاً للشماخ والاعشى والفرزدق وابن الاعرابي وابن خالويه تتضمن لفظة حوائج . وقد خُطِّئ الحريري لانهُ خطأ « حوائج » في كتابهِ درة الغواص . وقال الخليل « ألا تراهم جمعوا الحاجة على حوائج » فاثبت صحة حوائج وانها من كلام العرب . قال التاج « وانما غلط الاصمعي في هذه اللفظة كما حكي عنهُ حتى جعلها مولدة كونها خارجة عن القياس لان ما كان على مثل الحاجة مثل غارة وحارة لا يجمع على غوائر وحوائر » ولكن نقل عن بعضهم ان « الاصمعي رجع عن هذا القول وانما هو شيء كان عرض لهُ من غير بحث ولا نظر . وهذا الاشبه بهِ لان مثلهُ لا يجهل ذلك اذ كان موجوداً في كلام النبي (صلعم) . وكان

الحريري لم يرَ به الأَ القول الاول عن الاصمعي دون الثاني » انتهى · والتاج نقل عن لسان العرب

وكنت اقلب الاغاني (الجزء الاول) فقرأت قول ابن زياد المكي

ثلاث حوائج ولهنّ جئنا فقم فيهنّ يا ابن ابي جرابِ

وقرأت فيهِ عن الثريا عشيقة عمر بن ابي ربيعة : فبينا هي عند ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان اذ دخل عليها الوليد فقال من هذه فقالت الثريا جاءتني اطلب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها » الخ

وعلى ذكر الحوائج تخطر « العوائد » المختلف كل الاختلاف في صحتها كجمع عادة لا كجمع عائدة · قال صاحب التاج : ومن جموع العادة (غير عاد وعادات) عوائد ذكر في المصباح وغيرهِ وهو نظير حوائج في جمع حاجة · والذي صرح بهِ الزمخشري وغيرهُ ان العوائد جمع عائدة لاعادة »

اما كثرة ورود عوائد جمع عادة في ابن خلدون فلا يؤخذ بها لان ابن خلدون حجة بين كتاب العرب في الفلسفة والادب لا في اللغة

والخلاصة ان كلمة حوائج صحيحة وان تكن غير قياسية لورودها في الاحاديث النبوية· وقد اخطأ الاصمعي فيها ثم اصلح خطأهُ · واخطأ الحريري ولم يصلح لانهُ بنى حكمهُ على خطإ الاصمعي ولم ينتبه الى اصلاحهِ · واشار اليها الخليل اشارة تدلُّ على صحتها والقول ما قال الخليل · وقد وردت في شعر الجاهليين كالاعشى وشعر المخضرمين كالشماخ وشعر اعاظم الثقات في اللغة كابن الاعرابي وشعر كبار المولدين كالفرزدق ونثر بعض اعاظم الكتاب كالاصفهاني نقلاً عن اعلام المولدين كعمر بن ابي ربيعة ومعاصريهِ

اما ما اسند الكشكول الى ابن الجوزي من قولهِ « جواب لا يجمع وقول العامة اجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي » فهو قول سيبويه لا ابن الجوزي ولكن هذا نقلهُ ولم يذكر مصدرهُ · والظاهر انهم لاحظوا في لفظة جواب كونها اسم مصدر كلفظة كلام فلم يجمعوها مثلها · كذلك يظهر انهم حملوا لفظة سؤال عليها حمل النظير على النظير وان لم تكن اسم مصدر وانما هي مصدر سأل لاننا لم نرَها مجموعة في كتاب من كتب اللغة · ولكن جمعها ليس محظوراً ككل مصدر يتعدَّد فانهم يجيزون جمعهُ مثل اشربة جمع شراب واطعمة جمع طعام · والحق يقال ان هذه مشكلة من المشاكل التي يحسن باعلام اللغة حلُّها بوضع القواعد الصريحة فيها · فان الكلام كثيراً ما يقتضي جمع

بعض الالفاظ التي انكروا جمعها حيث يراد التعدد ولا يكاد المعنى يستقيم بلفظ المفرد. فإما المحافظة على القديم مع ما فيهِ من الاضطراب واما الانتقال منهُ الى طلاوة الجديد . وهذا يأتي بنا الى حزبي المحافظين والاحرار في اللغة كما في السياسة . وقد دلّ الاختبار ان الاولين هم الخاسرون على مرّ الزمن وان الآخرين هم الرابحون

***

ومن الالفاظ التي كثر الاخذ والرد فيها لفظة عائلة وهل هي صحيحة ام لا . وغاية ما اهتديت اليهِ بعد مراجعة كتب اللغة والاطلاع على بعض كتب الادب ان عائلة لم تذكر الأ في قاموس واحد هو محيط البستاني وقد جاء فيهِ انها « مؤنث العائل . وعائلة الرجل زوجتهُ واولادهُ ومن تكفّل بهِ واقاربهُ لابيهِ » ولا ادري من اين جاء بهذا التعريف. وجاء في اقرب الموارد للشرتوني « عائلة الرجل عيلّهُ لم اقع عليها ولكنها تصح قياساً » . اما لفظة عيلة التي جرّب بعضهم استعمالها مكان عائلة بحجة انها هي الصحيحة وان عائلة خطأ فليست صحيحة بهذا المعنى وانما معناها الفقر كما قال ابن الجوزي . وسائر القواميس على ان عيال ككتاب وعيّل ككيّس هما اللفظتان الصحيحتان . والعيّل قد يكون للمفرد وجمعهُ حينئذ عالة او ان هذه جمع عائل على قول لسان العرب . او العيّل واحد العيال في قول آخر والجمع عيائل

وقد رأيت ابن الاثير المؤرخ يستعمل لفظة عيالات حيث يريد العيال فقال في موضع « فلما انهزموا اقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فامنهم » . وقال في موضع آخر عند كلامهِ على ردّة اليمن الثانية « فاستنقذوا طائفة اخرى من عيالات الابناء » الخ . ولم اعثر على هذه اللفظة في كتاب آخر ولعلها جمع الجمع مثل رجالات جمع رجال ولكن جمعاً مثل هذا ليس قياسيًّا . وغني عن البيان ان ابن الاثير ليس حجة في اللغة فان لم ترد في كتاب يؤخذ بهِ في اللغة كمقامات الحريري او اغاني الاصبهاني وجب ألاَّ يؤخذ بها

الجنّ والشياطين

« قال في حكمة الاشراق عند ذكر الجن والشياطين وقد شهد جمع لا يحصى عددهم من اهل در بند من مدن شروان وقوم لا يعدون من اهل ميانج من مدن اذربيجان انهم شاهدوا هذه الصور كثيراً بحيث اكثر اهل المدينة كانوا يرونهم دفعة في جمع عظيم على وجه ما أمكنهم دفعهم . وليس ذلك مرة واحدة او مرتين بل كل وقت يظهرون ولا تصل اليهم ايدي الناس » انتهى

ولو جلست الى عامة الناس تسمع ما يروون عن الجنّ او الجان والتوابع الشياطين والغيلان والهواتف والسعالي لاعياك السمع وما اعياهم الكلام — سواء في ذلك عامة اهل مصر والشام وايطاليا وروسيا حتى انكلترا وفرنسا وغيرهما من البلاد العالية الكعب في العمران. فقد كان العرب في جاهليتهم يزعمون ان الغول تتغول لهم في الخلوات وتظهر لخواصهم في انواع من الصور فيخاطبونها وربما ضيفوها وكانوا يزعمون ايضاً ان لها رجلي عنز فاذا اعترضتهم في الفيافي دعوا عليها بهذا البيت من الرجز

يا رجل عنز انهقي نهيقا لن تنزلي السبيل والطريقا

فتشرد في بطون الاودية ورؤُوس الجبال . وقد ذكر عمر بن الخطاب (رضه) انهُ شاهد ذلك في بعض اسفارهِ الى الشام وان الغول كانت تغول لهُ وانهُ ضربها بسيفهِ وذلك قبل ظهور الاسلام . فلما جاء الاسلام قلّ التحدث بالجان كما قلّ بعد ترعرع المسيحية

واذا رجعت الى القاموس وجدتهُ يقول ان « الغول ساحرة الجنّ وشيطان قيل يأكل الناس او دابة رأتها العرب وعرفتها وقتلها تأبط شرًّا » . وفيها يقول تأبط شرًّا من ابيات

وادهم قد جبت جلبابهُ كما اجتابت الكاعب الخيعلا (1)

فاصبحت والغول لي جارة فيا جارتي انت ما اهولا

فمن كان يسأل عن جارتي فان لها باللوى منزلا

قال المسعودي : « وكانت العرب قبل الاسلام تزعم ان الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخيل واختلال السابلة . وقد وصفها بعضهم فقال :

وحافر العنز في ساق مدملجة وجفن عين خلاف الانس بالطولِ

« وللناس كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقرب والقدار . وهو نوع من الانواع المشيطنة يظهر في اكناف اليمن واعالي صعيد مصر » الى آخر ما هناك فليراجع في موضعهِ

والظاهر ان المسعودي استنكر ما يروى عن الجن من الحكايات الكثيرة التي ذكرها فقال « وان كان اهل النظر والبحث والمستعملون لقضية العقل والفحص يمتنعون مما ذكرنا ويأبون ما وضعنا فاوردنا ما قالهُ الناس من اهل الشرائع وغيرهم اذ الواجب على كل ذي تصنيف ان يورد جميع ما قالهُ اهل الفرق في معنى ما ذكرناهُ »

(1) جبت قطعت . والكاعب الفتاة . والخيعل قميص للنساء

وعلل رؤية بعض الناس للجن على ما يزعمون بقوله : وقد تنازع الناس في الهواتف والجان فذكر فريق منهم ان ما تذكرهُ العرب من ذلك انما يعرض لها من قبل التوحد في القفار والتفرد في الاودية .... لان الانسان اذا صار في مثل هذه الاماكن يوجد لهُ تفكر ووجل وجبن واذا هو جبن داخلتهُ الظنون الكاذبة والاوهام المؤذية الفاسدة فصورت لهُ الاصوات ومثلت لهُ الاشخاص واوهمتهُ المحال بنحو ما يعرض لذي الوسواس .... فتوهم ما يحكيهِ من هتف الهواتف بهِ واعتراض الجن »

ومن اغرب ما نسب العرب الى الجن نظم الشعر . فذكر المسعودي حكاية من حكاياتهم خلاصتها ان علقمة بن صفوان جدّ مروان بن الحكم لامهِ رأى في ضواحي مكة جنيًّا على صورة نصف انسان كانوا يسمونهُ شقًّا فقال الشق

علقم اني مقتولْ وان لحمي مأكول
اضربهم بالمدلول ضرب غلام مشمول
رحب الذراع بهلول

فقال علقمة

شق مالي ولك اغمد عني منصلك
تقتل من لا يقتلك

فضرب كلٌّ منهما صاحبهُ فخرّا ميتين

وذكروا عن الجنّ بيتاً قالتهُ في حرب بن امية حين قتلتهُ والبيت مشهور عند علماء البيان يأتون بهِ شاهداً على تنافر الحروف وهو :

وقبر حرب بمكان قفرُ وليس قرب قبر حرب قبرُ

ودليلهم على انهُ من قول الجنّ انهُ لم يتأتَ لاحد من الانس ان ينشدهُ ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع (١) في انشادها

وكان العرب يزعمون ان لكل شاعر مجيد تابعاً او جنيًّا يلقنهُ الشعر . روى مظعون الاعرابي عن ابيهِ قال : مررت بشيخ عليهِ اطمار فعلمت انهُ جانّ فقلت لهُ اتروي شيئًا من اشعار العرب فقال نعم فانشأ يقول

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل سلمى ولم يلم بميعادِ

(١) التردد من حصر او عيّ

الى آخر ستة ابيات فلما فرغ من انشاده قلت لهُ هذا الشعر لعبيد بن الابرص . فقال الجني ومن عبيد لولا هبيد . فقلت ومن هبيد فانشأ يقول

انا ابن الصلادم ادعى الهبيد حبوت القوافي قرمي اسد
عبيداً حبوت بمأثورة وانطقت بشراً على غير كد
ولاقى بمدركَ رهط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معدّ

قلت من مدركٌ . قال هو ابن داغم صاحب الكميت وابن عمي وكان الصلادم وواغم من اشعر الجن

وقال ابن مظعون لماحدثهُ ابوهُ بهذا الحديث انهُ احبّ اذ علم ان لشعراء العرب شياطين تنطق به على ألسنتها ان يعرف ذلك ورجا ان يلقى مدركاً الذي ذكر الهبيد لابيه .... فورد عليه رجل من اهل الشام فتمشيا معاً ثم وقف الرجل يصلي وجلس ابن مظعون يروي لابنيه شعر النابغة فانفتل الرجل من صلاته وحدثهم بحديث فحواهُ انهُ لقي ذات يوم شيخاً اضرم النار وجلس حولها هو وصبية لهُ صغار . وبعد حديث طويل معهُ سألهُ اتروي من اشعار العرب شيئاً قال نعم قال انشدني للنابغة . فقال الشيخ اتحب ان انشدك من شعري انا قال نعم فاندفع ينشد لامرىء القيس والنابغة وعبيد . ثم اندفع ينشد للاعشى فقال الشامي لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمان طويل . قال للاعشى . قال نعم . قال الشيخ فانا صاحبهُ . قال فما اسمك قال مسحل السكران بن جندل . فعرف اذ ذاك انهُ من الجن فسألهُ من اشعر العرب فقال « اروِ قول لافظ بن لاحظ وهياب وهبيد وهاذر بن ماهر ». فقال الشامي هذه اسماء لا اعرفها . قال اما لافظ فصاحب امرىء القيس . واما هبيد فصاحب عبيد بن الابرص و بشر . واما هاذر فصاحب زياد الذبياني وهو الذي استنبغهُ

وذكر آخر انهُ لقي جنياً فاستنشدهُ من اشعار العرب فانشدهُ قول امرىء القيس « قفا نبك » الى آخر المطلع المشهور فلما فرغ قال لهُ لو ان امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام .... قال انا والله منحتهُ ما اعجبك منهُ . قال فما اسمك قال لافظ بن لاحظ فعرف انهُ من الجن وسألهُ من اشعر العرب فقال

ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ولقد اجاد فما يعاب زيادُ
لله هاذر ان يجود بقوله ان ابن ماهر بعدها لجواد

فسأَلهُ من هاذر فقال انهُ صاحب الذبياني وهو اشعر الجن واضنهم بشعرهِ
ويروون للجنّ شعراً كثيراً يضيق بنا المقام عن ايرادهِ . منهُ قصيدة تناهز الخمسين بيتاً اولها

الدهر يأتيك بالعجائب ان الدهر فيهِ لديك معتبرُ
بينا ترى الشمل فيـهِ مجتمعاً فرّقهُ من صروفهِ القدرُ
لا تنفع المرءَ فيهِ حيلتهُ مما سيلقى يوماً ولا الحذرُ

وقد اشار الاعشى في بعض قولهِ الى اشتراك الجن والانس في النظم وما زعموا من ان لكل شاعر تابعاً فقال :

شريكان فيما بيننا من هوادةٍ صفيان انسي وجنّ موفقُ
يقول فلا اعيا بقول يقولهُ كفاني لا عيّ ولا هو اخرقُ

وذكر ان رجلاً اتى الفرزدق فقال اني قلت شعراً فانظرهُ . قال انشد فقال :

ومنهم عُمَرُ المحمود نائلهُ كانما راسهُ طين الخواتيمِ

فضحك الفرزدق وقال يا ابن اخي ان للشعر شيطانين يدعى احدهما الهوبر والآخر الهوجل . فمن انفرد بهِ الهوبر جاد شعرهُ وصح كلامهُ ومن انفرد بهِ الهوجل فسد شعرهُ . وانهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوبر في اولهِ فاجدت وخالطك الهوجل في آخرهِ فافسدت . وان الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فنحر فجاء امروءُ القيس فاخذ راسهُ وعمرو بن كلثوم سنامهُ وزهير كاهلهُ . والاعشى والنابغة فخذيهِ وطرفة ولبيد كِرْكِرَتهُ[1] ولم يبق الاّ الذراع والبطن فتوزعناها بيننا . فقال الجزّار يا هؤُلاء لم يبق الاّ الفرث والدم فامروا لي بهِ فقلنا هو لك . فاخذهُ وطبخهُ ثم اكلهُ ثم ... فشعرك يا هذا من ... ذلك الجزار . فقال الفتى فلا اقول بعدهُ شعراً ابداً»

وقد اعتقد اليونان والرومان بالتوابع الذين يوحون الى الشعراء بشعرهم وسموهنّ «موزا» وفي الانكليزية والفرنسوية Muses وادعوا انهن نساءٌ ورقوهن الى مصاف الالاهات . وذكرهنّ ملتن في مطلع فردوسهِ المفقود ونعتهنّ بالسمويات واستمد معونتهن على نظم قصائدهِ كما اشرت الى ذلك سابقاً

(نقيب)

(١) صدرهُ

التزوج بالاجنبيات

منافعهُ ومضارهُ من الوجهة البيولوجية والاجتماعية

(١)

اذا وضعت بعض الحيوانات الاولى (البروتوزى) في مرق اللحم وراقبت نموها مدة من الزمن وجدتها في بادئ الامر تتكاثر بسرعة الى ان يبلغ تكاثرها حدهُ الاقصى ثم تبتدئ في دور التناقص فتقل قوة انقسام افرادها على التدريج حتى تقف عن الانقسام ثم تبتدئ تنحل حتى تموت كلها ولكنك اذا اضفت اليها عدداً من الحيوانات التي من نوعها حالما تبتدئ ان تضمحل تجدها تتحد مع هذه الحيوانات الاجنبية بقوة شديدة ثم تبتدئ تتكاثر مرة اخرى بنفس القوة الاولى . اي ان الدم الاجنبي جدد فيها قوة التناسل بعد ان مالت الى الاضمحلال

مثل آخر من الطبيعة : خذ زهرة ما وتأمل فيها تجد ان اوراقها الملونة تلتف حول قضبان دقيقة جداً على رؤُوسها قمم صغيرة صفراء وهي تحتوي على الخلايا الذكرية الملقحة وفي وسط هذه القضبان قضيب اثخن من الباقي ينتهي برأس كرأس الدبوس وفيهِ مادة لزجة وهو القضيب الذي يؤَدي الى البويضات الانثوية . وعليهِ تحتوي هذه الزهرة على المادتين اللازمتين للتلقيح وهما الخلايا الذكرية والبويضات الانثوية ويمكنها ان تلقح نفسها ولكنها لا تفعل ذلك الأَ عند الضرورة الشديدة . فانها تنتظر اولاً ان تلقحها الريح من شجرة اخرى او ان تنقل اليها نحلة او احدى الحشرات الاخرى شيئاً من الخلايا الذكرية العالقة بها من شجرة بعيدة عنها واذا لم يتيسر ذلك انتظرت عسى ان يصل اليها شيءٌ من الخلايا الذكرية من نفس الشجرة التي هي جزء منها ولكن من زهرة اخرى . واذا لم يتيسر ذلك ايضاً لم يبقَ لها بدٌّ من ان تكتفي بما لديها وتلقح نفسها بنفسها اي بواسطة الخلايا الذكرية التي فيها . ولكنها لا تفعل ذلك الأَ بعد الانتظار الطويل و بعد ان يولي زمن صباها وتبتدئ ان تشيخ . ولو تيسر للجزء الانثوي من الزهرة خلايا ذكرية من هذهِ الثلاثة الانواع وامكنها ان تختار منها لاختارت دائماً الخلايا الآتية من الشجرة الاجنبية وكانت الثمرة الناتجة من هذا الامتزاج اجود من التي تنتج من المزيجين الآخرين

هذان مثلان ذكرتهما تسهيلاً لفهم قانونين مهمين من قوانين علم الحياة (البيولوجيا) يسريان على جميع الاحياء من المكروب الى الانسان . اولهما انهُ لا بد من دم اجنبي لحفظ النوع فكما ان المكروبات تزيد الى حد ما ثم تموت اذا لم يضف اليها كمية من الخارج من

نفس نوعها كذلك تنقرض الاسرة من البشر التي تتزاوج افرادها مدة طويلة بدون ان تمتزج بدم غريب . وذلك يبدأُ تدريجيًّا فتظهر اولاً على افراد هذه الاسرة علامات المرض (Degeneration) فيكثر فيها عصبيو المزاج والمدمنون للخمر وذوو الاخلاق الغريبة . ثم ينتهي الامر بان اطفالها تموت في السنين الاولى من عمرها كانها شاخت لان ليس في خلايا اجسامهم قوة الانقسام والتكاثر فيقف نمو الطفل في الاشهر او السنين الاولى ثم يموت كما يموت الشيخ . وامثال هذه العائلات المسكينة ليس بقليل في بلاد يحل بل يستحسن فيها التزاوج بين ابناء العم والخال

ولكن الامة التي ينحصر تزاوجها فيها ابعد عن الانقراض من العائلة لان دائرة التزاوج فيها اوسع منها في العائلة . الاَّ انهُ بهذه الواسطة تزداد مميزات الامة عن غيرها وضوحاً سواء كانت هذه المميزات حسنة ام رديئة . فالاسرائيليون معروفون مثلاً بالانف الاقنى ويعسر عليك ان ترى اسرائيليًّا ليست فيهِ هذه الخاصة . وقد تتعدى الخلة الحسنة عند تمكنها من امة حدَّ الاعتدال فتسبب لها ضرراً او مذمة . فالكرم في حد ذاتهِ ممدوح ولكنهُ قد تمكن من العربي الى حد انهُ كان يذبح لضيفهِ ناقتهُ التي كان يرتزق منها هو وعيالهُ اذا لم يكن لديهِ غيرها . وقد بلغت ملكة التروي والنظر في العواقب بالقبطي مثلاً حتى جعلتهُ لا يقدم على اي عمل عظيم ما دام فيهِ شيء من المجازفة . ووصل بهِ كبح جماح النفس وكظم الغيظ الى حد احتمال الاهانة بدون طلب الاقتصاص لنفسهِ من مهينهِ وهو بعد ذلك كرم اخلاق وغيرهُ يعدهُ جبناً

هذا ما يقال في الصفات الحسنة اذا تمكنت من امة بالتوارث الى حد التطرُّف اما الصفات الرديئة فلا يمكنها اذا تمكنت الاَّ ان تتأصل حتى تتحول من رديء الى اردأ . ومن اراد ان يضرب لذلك امثالاً محسوسة لا يتعذر عليهِ ذلك . ومن البديهي والحال هذه ان امتزاج الامم بعضها ببعض يخفف من وطأَة حسناتها وسيئاتها في وقت واحد وينتج مزيجاً معتدلاً والطبيعة نفسها تسعى الى مزج الشعوب بعضها ببعض

فالمثل الثاني وهو مثل الزهرة التي تختار أَبعد الخلايا الذكرية لتلقح بهِ نفسها كما ان الخلايا الذكرية ايضاً تنضم الى البويضة الاجنبية بقابلية اقوى من التي انضمت بها الى بويضة من نفس الشجرة أَو الزهرة — هذا المثل يفسر لنا قانوناً آخر يسري على كل الاحياء وهو ان الفرد يختار للتناسل فرداً آخر ذا صفات مكملة لصفاتهِ الذاتية . فالرجل القوي يجذبهُ ضعف المرأَة والمرأَة القوية الارادة تميل الى التزوج من رجل

يمكنها ان تتسلط عليهِ . واظن انني لا استطيع ان اضرب لذلك مثلاً اكثر اقناعاً من ان اذكّر القارئ بمقدار شغف المصريين وهم شعب اسمر ببياض البشرة فعامتهم لا يفرقون بين البياض والجمال بل يتخذون الاول مقياساً للثاني . وكلنا نعرف شغف المصريين بالعيون الزرقاء والاوربيين بالعيون السوداء . ان هذه العوامل التي تجعل الشخص يميل الى التزوج بشخص آخر ذي صفات تخالف صفاتهِ هي نفس العوامل التي تنفر الاخ من التزوج باختهِ وتسبب عدم ميلهِ الى ابنة عمهِ . واذا بحثت عن اسباب التزاوج بين اولاد العم وجدت ان الحامل على اكثرها فوائد مادية لا غير

وكما ان الثمرة الناتجة عن تلقيح زهرة بخلايا ذكرية من شجرة غريبة تكون احسن من الثمرة الناتجة من تلقيح الزهرة بخلايا ذكرية من نفس الشجرة او من نفس الزهرة كذلك يكون النسل الناتج من ابوين مختلفين في الجنسية اقوى على مقاومة عوامل الانحلال ومزوداً بقوة تناسلية تفوق ما لوالديهِ منها . فقد اظهر احصاء بوس Boas في امريكا الشمالية مثلاً ان متوسط المواليد من الهنود الامريكيين ٦ اطفال للمرأة المتزوجة ومتوسط ما تلدهُ المرأة الخلاسية[1] التي من دم هندي واوربي ثمانية اطفال . وفي پارجواي تلد المرأة الخلاسية اكثر من الهندية او الاوربية التي تعيش في نفس البلاد . ويقول Le Vaillant ان متوسط ما تلدهُ المرأة من الجنس الهتنتوتي ثلاثة او اربعة اطفال ولكنهم باختلاطهم مع العبيد يصبح هذا العدد ثلاثة اضعاف ويبلغ اكثر من ذلك عند تزاوجهم مع البيض . وقد احصى E. Fischer متوسط ما تلدهُ المرأة في مستعمرة المانيا الواقعة في جنوب افريقيا الشرقية فوجدهُ ثمانية اطفال . والشعب الساكن في هذه البلاد وهو خليط نقي من الهتنتوت والبوير من الجيل الرابع الى السابع اي انهُ من حين ان دخل البوير بلاد الهتنتوت واختلطوا باهلها وكونوا هذا الشعب لم يتزاوج البيض مع هذا الشعب مرة اخرى . وقد توالد هذا الشعب من اربع الى سبع مرات ومع ذلك لا تزال قوة التناسل فيهِ اكثر من الشعب البويري في افريقيا الجنوبية الانكليزية الذي متوسط ما تلد المرأة منهُ ٦٫٣ الطفل[2]

هذا شيءٌ يثبت لنا ان الطبيعة ميالة الى مزج الشعوب بغض النظر عن احوالنا الاجتماعية ومآربنا السياسية او المادية . الاَّ ان هناك عقبات كبيرة لا يمكن اغفالها اذا نظرنا الى الامور

(١) الخلاسي الولد بين ابوين ابيض واسود

(٢) Das Weib in der Natur und Völkerkunde Dr. Ploss & Dr. Bartels.

كما هي من وجهتها العملية . فقد اصبح اهم اركان مدنية عصرنا الحالي تكوين عائلة لاجل التناسل . والاسس التي تبنى عليها العائلة هو السلام الداخلي الذي يستحيل دوامهُ اذا لم يكن هناك تفاهم تام بين الزوجين حتى يستطيعا ان يديرا حركة مملكتهما الصغيرة ومشاركة احدهما للآخر في السراء والضراء وحتى يجد كل منهما لنفسهِ عزاءً في الآخر عند المحنة . هذا التفاهم يقوي الانسان على احتمال نكران الذات الذي يثبتهُ كل رجل او امرأة بتنازلهِ عن حبهِ لذاتهِ ومشاركتهِ لقرينهِ طول حياتهِ وتضحية كل شيء في سبيل اسعاد هذا القرين وغيرهِ من الاشخاص الذين يوجدهم هذا الاتحاد في حيز الوجود . و بدون هذا التفاهم يعيش الزوجان جنباً الى جنب وهما غريبان الواحد عن الآخر . ولما كان لكل شعب اخلاق وعادات تختص به دون سواهُ و يصعب على الفرد التخلي عما ربي عليهِ واعتياد عادات غريبة عنهُ ربما كان الى ذلك الحين يحتقرها كان من الصعب جداً ايجاد التفاهم بين زوجين من جنسين مختلفين . وكثيراً ما كانت صعوبة التفاهم هذه الصخرة التي تتحطم عليها سفينة السلام التي تنقل العائلة في بحر الحياة فان شعلة النار المقدسة التي تتقد في صدر الصبا قلما تقوى على عواصف الخريف وغيومهِ المظلمة . وما اطول الحياة واقصر ربيعها

الشرق شرق والغرب غرب والبحر الذي تمر فوقهُ الشمس بينهما يستغرقها نهاراً كاملاً . للغربيين اخلاق ولنا اخلاق فمن اين لنا ان ننظر الى الحياة بنفس المنظار الذي ينظرون هم اليها بهِ ما دامت وسائل الاختلاط بيننا و بينهم معدومة بالمرة سواء كان السبب في ذلك تجنبهم او جعلنا من بيوتنا حصوناً لا يتخطاها اجنبي حتى اصبح الطريق الوحيد لدرس اخلاقهم الذهاب الى بلادهم والعيش بينهم مما لا يتيسر للجميع . و يؤلمني ان اسطر هـذه الحقيقة المحزنة وهي ان العدد الاوفر من شبابنا الذين يذهبون الى اوربا يرجعون منها وهم لا يعرفون عن الروح الاوربية سوى ما يرونهُ من حركة شوارعها وملاهيها . وانا لا اقصد بذلك لفيف المصطافين الذين يجمعون عرَق الفلاح المصري بالنقطة ليروا بهِ شوارع باريس بل اقصد معشر الطلبة الذين يذهبون لاستقاء العلوم من ينبوعها . وانا لا الومهم لعدم ادراكهم للروح الاوربية لان المدة التي يقضونها هناك اقصر من ان تكون كافية لدرس اخلاق شعب غريب ولانهم يقضون اكثر اوقات الفراغ معاً فقلما يختلطون بافراد الامة وعائلاتها التي يعيشون بينها . فاني اتذكر انني لم ابتدىء ان اشعر بان للامة التي كنت اعيش بينها هناك حياة روحية لم اكن ادركها الى ذلك الحين الاَّ بعد ان مضَّيت بينهم اربعة اعوام وانا لا اعرف كلمة من لغتهم فتعلمتها من افواههم كما يتعلمها الطفل ومضيتها

بينهم لم اختلط فيها بمصري سوى مدة ستة اسابيع مضيتها بمصر . و بعد ان بدأت افهم شيئاً عن الروح الاوربية اتضح لي اني عشت طول هذه المدة ونظري اقصر من ان يرى الروح التي تقود اوربا الى الامام . قلت اني لا الوم شباننا الذي قضوا بضع سنوات في اوربا ولم يفهموا اهلها ولكنني الومهم لانهم يدَّعون علم ما ليس لهم بهِ علم و يصفون اوربا ليس كما هي بل كما استطاعوا ان يدركوها

وهذهِ كلمة وان كانت خرجت بي عن موضوعنا الآَ اني لم اتمالك ذكرها لابيّن البون الشاسع الذي يفرق الشعوب بعضها عن بعض من الوجهة الاخلاقية واوضح شيئاً من صعوبة التفاهم بين افرادها . ورأيي في ذلك الموضوع من رأي الاستاذ بلويلر استاذي المحترم في علم البسيكولوجيا وهو ان التزاوج بين الاجانب لا يؤدي الى السلام العائلي الأ تحت شروط مخصوصة يتقدم فيها التفاهم التام على الميل الشخصي . فانا احذّر لفيف الشبان الاغنياء الذين يذهبون الى اوربا لاجل الاصطياف فيها من الاقدام على زواج عاجل واحذر لفيف الطلبة الذين يرحلون لتلقي العلوم من ان يضعوا كفهم في اول كف ناعم يمتد اليهم وفوق كل ذلك انبهُ الشاب المصري الذي يريد ان يتزوج باجنبية مولودة او متربية في مصر ظنَّاً منهُ انها اقرب الى فهم اخلاق البلاد من غيرها الى ان هذه الاجنبية ربيت على شيء واحد رضعتهُ من ثدي امها وهو الازدراء بالمصري . وليس هنا موضع البحث في احقية هذه التربية او عدمها

هذا ما يقال على وجه عام من جهة ضرورة وصعوبة تفاهم الزوجين المختلفي الجنسية ولكنهُ لا يجوز تطبيق ذلك على كل حالة خصوصية فكم من مرة صح فيها قول القائل اتى فرأى فاحب . وكم من مرة ذابت فيها كل هذه الصعوبات امام نار حب حار طاهر يدفع بكل قوة الى الامتزاج كما يذوب الشمع امام النار فالتحم قلبان آتيان من اقاصي الارض التحاماً ابديًا على ما هما عليهِ من اختلاف المواطن والمذاهب . وهل في ذلك غرابة ونحن نعلم ان الطبيعة ميالة الى الجمع بين النقيضين والفرنسيين يقولون Les extrêmes se touchent اي الطرفان يلتقيان

تعرفت وانا في برن عاصمة سويسرا بآنسة حوت قسطاً كبيراً من صفات الشرقيين والغربيين معاً فكانت تستطيع فهم الموسيقى الغربية والشرقية الامر الذي يكاد يستحيل على اوربي واطلعتني على بعض قصائد نظمتها فاذا فيها روح عربية بلسان الماني فان خيالها لا يعرف حداً سوى اللانهاية والروح التي تصورت عوج بن عناق يمد يدهُ الى اسفل فيصطاد السمكة

من اعماق البحر ويمدها الى اعلى فيشويها في قرص الشمس هي نفس الروح التي كانت تملي عليها اشعارها. حدثتني هذه الفتاة فقالت ابي سويسري الماني وامي عربية من قبيلة اولاد نابل من عرب الصحراء الافريقية تزوج بها في الجزائر وبعد ان بلغتُ الخامسة من عمري توفيتْ امي فلم يستطع ابي ان يعيش بدونها ومات بعدها ببضعة اشهر وانا وان كنت لا اعرف العربية ولكنني احب الصحراء وقد زرت مصر وضربت في صحرائها على الجمال ورأيت ابا الهول في ليلة قمراء وانا وحدي فلم اتمالك مخاطبتهُ بصوت مسموع أُسائلهُ عما رأت عيناهُ الشاخصتان الى الابدية ويكنهُ قلبهُ الصخري من اسرار الدهر

فمن يقول ان ذلك الجذع الذي نبت في جبال الالب وتلك الزهرة التي ترعرعت في الصحراء لم يكونا شجرة واحدة اثمرت ثمرة صالحة

(٢) نظرة تاريخية

كان قدماء المصريين كغيرهم من الامم يعتقدون بان لجنسهم مزايا على بقية الخلق تجعلهم يزدرون غيرهم من شعوب الارض وينظرون اليهم كشيء نجس فرغمًا عن الخَدَم الجليلة التي اداها يوسف الصديق للمصريين اذ خلصهم من الجوع سبع سنوات بحسن تدبيرهِ ورغمًا عن اعترافهم بفضلهِ وتوليتهِ منصبًا رفيعًا كالمنصب الذي كان يتولاهُ لم يتنازلوا لان يسمحوا لهُ ان يجلس معهم على مائدة طعامهم لاعتبارهِ نجسًا . ولما نما اليهود صاروا امة قوية وتغلبوا على ارض كنعان احتقروا جميع الشعوب وحسبوهم نجسين كما كان يحسبهم المصريون من قبل واطلقوا على هذه الشعوب الغريبة كلمة امم وكانوا يعيرون افرادها بكلمة (يا اغلف) وهـذا منتهى الاحتقار عند اليهود . وهذا النوع من احتقار الاجانب كان شعار كل الامم القديمة لا يزال الصيني الى اليوم يحتقر الاوربي ويقول ان شعرهُ الاشقر كشعر الشياطين وان لحيتهُ الطويلة تشبه لحية القرود

غير انهُ كلما اغرقت الامم في المدنية خففت من كبريائها وعرفت انها ما هي الا بشر مثل غيرها . فلذا لا يفكر اليوم احد في المعارضة في زواج رجل جرماني بامرأة لاتينية او رجل سلافي بامرأة جرمانية وبالعكس ما دامت هذه الامم في درجة تكاد تكون واحدة من الرقي جسمًا وعقلاً حسب اصول علم الانثروبولوجيا اي من الجنس الابيض . ولكنك تجدهم يعارضون بكل قواهم في تزاوج جنسهم بالجنس الاصفر او الاسود باعتبار ان هذين الجنسين ادنى من الجنس الابيض في المراتب الانثروبولوجية . فالصيني الذي يتزوج بامريكية يكون نسلهُ منها ارقى منهُ واحط منها فيكون هو الرابح وهي الخاسرة . اي ان الجنس

الابيض يتحاشى الامتزاج بالاجناس التي هي ادنى منهُ لئلاَّ يكون نسلهُ احط منهُ بينما تجد الاصفر والاسود يريان في امتزاجهما بالجنس الابيض رقيًّا لنسليهما . اما مركز الشعوب التي يسمونها بالملونة كالهندي والمصري فواقع بين الاثنين اي ان الاوربي لا يعارض معارضة شديدة في التزاوج بها ولكنهُ لا يعتبر نفسهُ الرابح من هذا التزوج

استطاع قدماء المصريين ان يحفظوا انفسهم من الاختلاط بالاجانب حتى اعتناقهم للمسيحية التي ساوت بين جميع الشعوب وعلَّمت اليهود ان كل امم الارض مختارة لان تكون شعبًا للرب وان الله سبحانهُ وتعالى لا يحابي للاجناس . وقد كانت مصر في ذلك الحين محكومة بالرومان الذين اعتنقوا المسيحية ايضاً فلم يكن هناك مانع من تزاوج الامة المحكومة بالحاكمة فاختلط المصريون بالرومان واليونان الذين كانوا قاطنين مصر في ذلك الحين واعتنقوا المسيحية ايضاً وتنازلوا عن اعتقادهم القديم بان لجنسهم مزايا خاصة بهِ تجعلهم ارفع من ان يختلطوا بالامم الاخرى وبذلك زرعت العيون الزرقاء والشعر الاشقر في دم المصريين فاصبحت تجد في العائلة الواحدة أخوين أحدهما ذو وجه مصري قديم لا تفرقهُ عن الاشكال المنقوشة على جدران المعابد والآخر بعيون فاتحة وشعر اشقر ووجه لا تفرقهُ عن وجوه الاوربيين الساكنين بيننا الآن وان كانت شمسنا مع الوقت تلوحهُ حتى يصبح اسمر لا يختلف كثيراً عن لون وجه اخيهِ الآخر

الأ انهُ بدخول الاسلام مصر وطرد الرومان منها انقطع المصريون الذين بقوا على دينهم عن سائر الشعوب المسيحية نحو ثلاثة عشر قرناً حتى الربع الاخير من القرن الماضي وكل هذه المدة لم يتزاوجوا لا بالعرب الفاتحين ولا باخوانهم الذين اعتنقوا الاسلام وذلك لاختلاف الدين فظلوا طول هذه المدة لا يتزاوجون الأ بينهم لعدم تمكنهم من الاختلاط بالمسيحيين الاجانب الى ان جاء اليوم الذي دخل فيهِ الاجانب المسيحيون ليتاجروا معنا ويزاحمونا في بلادنا فاذا بنا قد نسينا اننا اختلطنا بهم يوماً ما وفي أوردتنا اكثر من نقطة من دمهم فرجعنا الى انفتنا التي كانت لنا من عهد وثنيتنا غير اننا وضعناها في قالب حديث يوافق مسيحيتنا فانزل من لا يزالون منا يعيشون في عصر التوراة انفسهم منزلة اليهود واعتبروا انفسهم شعب الرب واطلقوا على اخوانهم في الدين لفظة الامم وهربوا من الاختلاط بهم هروب السليم من الاجرب

امين حنا نسيم
دكتور في الطب

(ستأتي البقية)

الاطعمة المحفوظة

وفحصها كيماوياً من ابحاث الاستاذين جوتيير و بريجر وغيرهما

(١) لحوم العلب

ان فساد اللحوم وما ينتج عنهُ من المركبات النتروجينية ذات الخصائص السامة عُرف قبل الآن فوصفهُ باروز و كرنر و پانوم وغيرهم من الباحثين فقالوا ان تلك المركبات تحاكي المركبات السامة التي توجد في النباتات والتي تدعى المركبات شبه القلوية Alkaloids وقيل ايضاً انها تظهر في لحوم الاسماك باسرع مما تظهر في لحوم البقر وما شاكلها وانها تظهر ببطء في لحوم طيور الصيد. ثم اتى زولزر وسونتشيس فبحثا في حقيقة تلك المركبات وماهية عناصرها

وخلاصة الابحاث الاخيرة ان اشد تلك الاجسام فتكاً هي ما يدعونها المركبات شبه القلوية الحيوانيـة او Ptomaines اما ما تشابهها تماماً وهي Leucomaines فهي مركبات يرجح انها غير سامة تتولد بانحلال الاجسام النتروجينية داخل الخلية الحية لا كالاولى بواسطة البكتيريا ولذا يسمونها علاوة على ما تقدم بالمركبات الفسيولوجية شبه القلوية. وعلى كل حال فهذا التقسيم لا يفي بالمرام فبعض هذه المركبات يتكون بكلتا الواسطتين السالفتين اي بواسطة البكتريا وانحلال الاجسام. وقد ارتقى البحث والاستقراء في هذا الموضوع الهام فتناولهُ سالمي وننكي وجوتيير و بريجر. وقد كان للعالم ننكي اليد الطولى في العمل وهو اول من توصل الى استحضار اول مركب من الاولى في حالة نقية ثم عقبهُ جوتيير واليك خلاصة ابحاثهِ : —

اولاً مركبات نتروجينية يكون فيها عنصر الازوت (النتروجين) جوهراً فرداً واحداً وتابعة لسلسلة الحوامض الدهنية ومنها :

تريمثيلامين وُجد في نوع من السمك المخلل. وديا ثيلامين وُجد في خلاصة فاسدة من لحم البقر. وتريا ثيلامين وُجد في لحم الحوت الفاسد. و پرو پيلامين و بيوتيلامين وُجدا في كبد الحوت التي بدأ فسادها. واميلامين وُجد في زيت كبد الحوت

ثانياً مركبات نتروجينية يكون فيهما من الازوت جوهران فردان وتابعة لسلسلة الحوامض الدهنية منها تترا ميثيلين — ديامين وُجد في لحم الخيل الفاسد و يسمى ايضاً Putrescine

و بنتاميثيلين — ديامين وُجد في لحم السمك العفن والدم الفاسد ويسمى ايضاً Cadaverine . ونور يدين وُجد في لحم البقر الفاسد والمواد الزلالية والجلاتينية الفاسدة . وسبرين وُجد في اللحم الفاسد عموماً

ثالثاً مركبات مشتقة من الجونيدين وهو المركب الذي يحتوي على ثلاثة جواهر فرد من عنصر الازوت ومنها ميتلجونيدين وُجد في لحم الخيل والبقر الفاسد

رابعاً مركبات نتروجينية (Ptomaines) ليس فيها اكسجين وتابعة للسلسلة البنزينية Benzene Series ومنها :

كوليدين وُجد في لحم السمك الفاسد والجلاتين الفاسد . و بارقولين وُجد في لحم الخيل العفن بعد بضعة شهور . وكوريندين وُجد في لحم نوع من السمك الفاسد يسمى Cuttle . وديهيدرو كوليندين وُجد في لحم الخيل والسمك الفاسدين

خامساً مركبات نتروجينية (Ptomaines) تحتوي على الاكسجين ومنها :

نيورين وُجد في لحم البقر الفاسد بعد خمسة الى ستة ايام . وكولين وُجد دائماً مع نيورين . ومسكارين وُجد في لحم السمك العفن . و بيتايين وُجد في اصداف البحر ويرجح انهُ غير سام فيكون من المركبات القلوية . وحمض الهوموپيبريدين و ينتج من انحلال فيبرين ولحم البقر . وميتيلوتوكسين وُجد في اصداف البحر السامة . وميداتوكسين وُجد في لحم الخيل الفاسد بعد ٩اشهر الى ١٥ شهراً . وجادينين وميثيلجادينين وُجدا في لحم السمك الفاسد وخصوصاً الحوت ومركب اكتشفهُ بريجر يوجد دائماً مع الاميداتوكسين . ومركبات نيتروجينية تابعة للسلسلة البنزينية ولها خاصية الاتحاد مع الحوامض لتكون املاحاً اي (Bases) ومنها :

ثلاثة انواع من تيروزامين وُجدت في كبد الحوت الذي بدأ فسادهُ . وميدين وُجد في لحم الانسان الذي بدأ فسادهُ

فمن ذلك العدد الهائل من المركبات السامة التي توجد غالباً في علب اللحوم المحفوظة التي مضى عليها الوقت القانوني يظهر لنا اهمية الموضوع من الوجهة التوكسيكولوجية . وقد سنّت اغلب حكومات اوربا قوانين لصنع الاطعمة المحفوظة والاتجار بها اهمها ان يكون تاريخ صنع الطعام ظاهراً واضحاً خارج الصفائح المعدة لذلك . كذلك التاريخ الذي يصير بعدهُ الطعام فاسداً . وان لا يوجد على الصفائح اكثر من لحام واحد واذا وجد اثنان او اكثر فمعناهُ ان الصفيحة فتحت ثم وضعت بعض العقاقير الطبية المضادة للفساد والعفونة

كحوامض البوريك والساليسيليك والبنزويك وملح البورق وغيرهِ او بعض الالوان الصناعية لما فقد لونهُ الطبيعي كبعض اصباغ الانيلين الحمراء والبرتقالية وغيرها او اعتمد الغش كأَن مزج الطعام بالنشاء او ما شابه ذلك

اما عن الخصائص الفارماكولوجية لتلك المركبات شبه القلوية الحيوانية ففيها ما يشبه تأثيرهُ المركبات شبه القلوية النباتية كالاتروبين Atropine والهيوسيامين Hyoscyamine في تمدد حلقة العين وبعضها لهُ صفات سامة . فمن علامات ذلك اولاً تمدد في حلقة العين يعقبهُ انقباضها ويكون التنفس خفيفاً والنبض ضعيفاً والحرارة نصف طبيعية والبشرة منداة بالعرق ثم تفقد قوة تحريك العضلات ثم يعقب ذلك سبات عميق ثم تشنجات يليها الوفاة . وقد تفقد قوة تحريك العضلات حتى تحت تأثير الكهربائية وهذه احدى علامات التسمم بالمسكارين الذي يوجد في لحوم الاسماك الفاسدة . وتأثير هذه المركبات على البنية يختلف شدة وضعفاً فمنها ما لا تأثير لهُ سوى بمقادير كبيرة في حين ان غيرها تكون مميتة في كميات صغيرة جدًّا . وعلى ذلك يظهر جليًّا ان علامات التسمم بلحوم العلب تختلف اختلافاً عظيماً باختلاف نوع تلك المركبات وكميتها ووجود ما كان مفعولهُ ضعيفاً يخفف بلا شك تأثير الشديد منها

والمركبات النتروجينية التي تحتوي من الازوت جوهراً واحداً منها ما تأثيرهُ السمي ضعيف والبيوتيلامين بكميات كبيرة يحدث تشنجات يعقبها شلل العضلات والاميلامين ذلك السم الزعاف يؤَثر في حلقات العين فيمددها ويعقب ذلك تشنجات الموت

والمركبات النتروجينية التي فيها من الازوت جوهران ليس لها تأثير يذكر على البنية ولذلك تعتبر سموماً خفيفة اما الكاداڤرين فيمتاز عنها لانهُ يؤَثر في الاغشية المخاطية فيلهبها . والميثيلجونيدين سم زعاف جدًّا فحقنة واحدة منهُ في جسم حيوان صغير تحدث تمدد الحلقتين ويعقبهُ تشنجات ثم الموت وذلك لا يستغرق اكثر من عشرين دقيقة

ومن المركبات النتروجينية التابعة للسلسلة البنزينية والتي لا تحتوي على الاكسيجين الكوليدين والپارڤولين والكوريندين والديهدروكوليندين كلها سموم قتالة فالكوريندين كالكورير (وهو مادة راتنجية من نوع الاستركنوس يستعمل خلاصتهُ اهل جنوب امريكا لسم سهامهم في الحرب ولم يستعمل قط في اوربا سوى في حادثة واحدة . قيل في محاكمة توليبوري وانصارهِ المتهمين بقتل الكونت بونمارتيني عام ١٩٠٥ انهم ارادوا قتله بواسطة ذلك السم القاتل) يحدث بكميات صغيرة شللاً عاماً . والديهدروكوليندين يحدثُ

سباتاً ثم شلل الاعضاء يعقبهُ تشنجات حادة · اما النيورين وهو احد المركبات التي تحتوي على الاكسيجين فيحدث سيلاناً في اللعاب وانقباضاً في الحلقتين يعقبهُ تشنجات ثم الوفاة · اما فعل الكولين فيشبه سابقهُ ولكن ليس الى ذلك الحدّ · والمسكارين ذو خصائص سمية هائلة فبكميات صغيرة جدًّا يحدث سيلاناً في اللعاب وانقباضاً في الحلقتين واسهالاً وتشنجات يعقبها الموت · ويستعمل الاتروبين ترياقاً في احوال التسمم بالثلاثة المركبات الفائتة لان خصائصهُ هي بعكسها

والبتايين ليس بسام والميداتوكسين بكميات صغيرة تعقبهُ علامات تسمم خفيف وبجرعة كبيرة يحدث اسهالاً ثم احمراراً في العينين ثم تشنجات الموت · والجادينين سم خفيف جدًّا غير ان ما يشتق منهُ وهو الميثيلجادينين بكميات كبيرة يحدث علامات شلل الاعضاء والمركب الذي اكتشفهُ بريجر ولم يسمَّ بعد يشبه الكورابير فعلاً وتأثيراً

ويراعى في صنع الاطعمة المحفوظة التعقيم بالحرارة وسواء كانت الآنية زجاجية او معدنية فلا بد من سدها سدًّا محكماً فاذا اهملت هذه الشروط ولم يعتمد الفتح ثانياً ووضع العقاقير الواقية تطرق الفساد وانتفخت الصفائح بواسطة الغازات الناتجة من اختمار الطعام واذا اريد اختبار تلك الغازات والوقوف على حقيقتها فلا بد من جمعها وتستعمل لذلك طريقة دوريس وليس هذا محلّ وصفها

واذا لوحظت رائحة كريهة عند فتح الآنية فهذا دليل قاطع على الفساد واذا امسكت قطعة من ورق عباد الشمس الاحمر المنداة بالماء فوق الآنية المفتوحة وتحول لون الورقة الى الازرق دل ذلك على تطرق الفساد الى الطعام وعلى كل حال نخير الطرق التي يستدل بها على وجود المركبات النتروجينية الفائتة الذكر هي الحصول عليها في حالة نقية من الطعام واختبارها بواسطة تفاعلها الكيماوي مع بعض المحاليل المعروفة · ولتمام الفحص الكيماوي لا بد علاوة على ما تقدم من امرين اولهما التحقق من الطعام هل حقيقة يحتوي على لحم وما هو نوعهُ لانهُ ظهر حديثاً ان بعض المعامل الخاصة بصنع الاطعمة المحفوظة وخصوصاً خلاصات اللحوم تغش الجمهور فتضع بدلاً من الخلاصة الحقيقية ما يضاهيها شكلاً وطعماً من المواد الزلالية وخلاصات اخرى من لحوم رديئة لا تصلح ان تكون طعاماً يصفهُ الاطباء لمرضاهم والناقهين منهم

وكان لاكتشاف التفاعل بين البروتينات والمصل المرسب العون الاكبر في تحقيق هذه المسألة الهامة فيمكن بهذه الطريقة الحكم على حقيقة الطعام ونوعهِ وهل هو من لحم البقر او

الجمل او الماعز او ما شاكلها ويمكن ايضاً الحكم بمقدار الماء في كل مائة جزء من الطعام كذلك الرماد والكلورين والفصفور والازوت ومقارنتها بالمقادير الخاصة باجود أنواع اللحم المعروفة وعليهِ يمكن الخبير التحقق من نوع اللحم الذي هو تحت الاختبار

ثانياً وهو الاهم البحث عن المعادن في الطعام لان ذلك ربما كان السبب الاكبر للتسمم فالقصدير والرصاص والنحاس هي اهم المعادن التي توجد عادة في الاطعمة السامة والاول يوجد غالباً في معظم الاطعمة لان الآنية القصديرية شائعة جدًّا والنحاس يأتي من الآنية التي تستعمل في تجهيز الطعام ومن الجلاتين الذي يضاف بكميات كبيرة للاطعمة والذي يمتزج بالنحاس من الاواني التي استعملت في صنعهِ وربما ايضاً من كبريتات النحاس التي يستعان بها غالباً على تحسين الوان الاطعمة الخضراء خصوصاً الخضروات كالسبانخ واللوبياء

واخيراً لا بد من الفحص المكروسكوبي فانهُ يظهر اللحم الجيد بالياقهِ العضلية حافظة لشكلها التخطيطي المتقاطع اما عند وجود البكتيريا فتفقد هذه الالياف اشكالها الصليبية التخطيطية ويحكم على الطعام بالفساد

(٢) المقانق او السجق

والتسمم بهِ يعرف في الانكليزية باسم Botulism لانهُ يتسبب من بكتيريا تدعى B. Botulinus وحوادثهُ شائعة في فرنسا والمانيا وغيرهما وذلك لان السكان يأكلونهُ نيئاً او غير ناضج وقد اكتشف تلك البكتيريا فان ارمنجن عام ١٨٩٥ واستخلصها من زرع جهزهُ من لحم الخنزير المملح وقد كتب اوسپبوف عن تأثيرها في خنازير غينيا فقال (اولاً) تقيح في اجفان العين (ثانياً) امساك في البراز وانحباس في البول (ثالثاً) تمدد في حلقات العنين (رابعاً) شلل في الاعضاء (خامساً) عسر في التنفس (سادساً) ضعف عام ينتهي بالموت . وعند التشريح وجد تغيير ظاهر في شكل المادة الرمادية للنخاع الشوكي ووجدت كذلك تغييرات خفيفة في المخيخ والجوهر القشري للمخ . ويظهر تأثيرها في الانسان بعد تفريخها بثماني عشرة ساعة الى ثمانٍ واربعين ساعة وعلامات التسمم بها هي ثقل وتهييج في المعدة يعقبهُ قيءٌ واسهال ويليهِ ضعف عام ثم ظلام البصر يعقبهُ ارتخاء في العضلات ثم الوفاة وذلك لايستغرق اكثر من اربعة ايام الى ثمانية وفي هذه الاحوال اذا كان التسمم مسبباً من تلك البكتيريا بلا داع آخر فلا ترتفع حرارة المصاب ولا يعتريهِ اختلاط في

القوى العقلية . وقد احصى سينكپيهل ١٦٥ حالة انتهت بالوفاة من ٤١٢ اصابة وتسبب التسمم عادة كما هو معروف من امتصاص القناة الهضمية لتوكسين البكتيريا . وقد اشار فان ارمنجن الى ان اللحوم المحفوظة ربما احتوت على عدد ومقدار هائل من الباشلس وتوكسينهِ بدون ان يظهر على الطعام اقل علامات الفساد كرائحة كريهة او طعم ينذر بالخطر . وقد توصل حديثاً الاستاذان بريجر وكمپنر الى استخلاص توكسين من زرع نقي للبكتيريا السالفة الذكر B. Botulinus واظهر التحليل الكيماوي انهُ يشبه شبهاً تاماً توكسين الدفثيريا والتتنوس . وفي اعتبار ايبر ان المركبات النتروجينية ذات الخصائص السامة وسموم المقانق Sausage Poisons لا تعتبر توكسينات Toxins بل مواد او اجساماً تكسيجينية . وقد عرف التوكسيجين بكونهِ المحصول الكيماوي الذي اذا حقن بهِ جسم حيوان لا يحدث تأثيراً ساماً الاَّ عند ما تنتبه لهُ خلايا الجسم . وقد ضرب مثلاً لذلك يودور الصوديوم Sodium Iodide وغيرهُ من الاملاح غير العضوية التي عند حقنها في دم حيوان لا تحدث تأثيرها الخاص الاَّ بعد ست ساعات الى ثمانٍ

وقد استمر الاطباء لا يعرفون مصدر ذلك السم او التوكسين الذي يسبب ذلك التسمم الى ان اتى هيلجر الكيماوي فنجح في استحضار مادة تشبه العسل قواماً من امعاء ستة اشخاص توفوا بهذا التسمم وأبان ان لها صفات الكوربير السالف الذكر

اما الحيوانات الطفيلية وهي ما تسمى Parasites التي توجد عادة في المقانق الفاسدة فنوعان واحد يسبب مرضاً يدعى Trichinosis وآخر هي تلك الحشرات الصغيرة Larva التي تتحول الى احدى الديدان الشريطية المعروفة وهي Taenia Coliun وذلك عندما تتغذى من امعاء الانسان

ومن اللحوم التي تغشّ بها المقانق لحم الخيل ويكشف هذا الغش بطرق مختلفة كلها مبنية على الحقيقة الآتية وهي ان لحوم الخيل تحتوي على كمية عظيمة من الجليكوجين Glycogen . وغالباً لا توجد لحوم الخيل في المقانق الانكليزية لان الاتجار بها بدون اعلان يعد هناك جريمة كبيرة يعاقب صاحبها عليها اشد العقاب والجليكوجين يسمى ايضاً النشا الحيواني لوجودهِ دائماً في كبد الحيوان

(لها بقية)

فهيم نجار
الطالب بمدرسة الصيدلة
في قصر العيني

مصر منذ اربعمائة سنة

(٨)

مصر القاهرة

نقلاً عن تنود سنة ١٥١٢ قال :

« اما القاهرة فمدينة عظيمة آهلة بالسكان وهي اكثر اتساعاً من باريس بخمس مرات وكذلك سكانها يزيدون على سكان باريس خمس مرات · وتزرع في ضواحيها الاشجار المثمرة والخضر والقرطم ويستخرج من القرطم زيت يعادل ما يستخرج من الخمر في مقاطعتي اورليان وشمبانيا لان في مصر عشرين الف جامع وفي كل منها ثلاثمائة مصباح يجب ان تضاء في كل ليلة عدا الزيت اللازم لانارة البيوت والقصور والشوارع ليلاً دع الشموع وخشب الاشراق · والمطاعم في القاهرة كثيرة جداً في كل طريق وشارع وتحت العراء والخيام· واما الخمر فممنوع بيعها جهاراً وهي غالية الثمن حتى ان القارورة منها تباع بثلاثين درهماً من الفضة

« ويرد الماء الى احياء المدينة من النيل بالقرب يحملها السقاؤون على ظهورهم ويبلغ عددهم نحو مائة الف عدا خمسمائة جمل تحمل على ظهورها القرب لتوزع على قصور السلطان والامراء وترش بها طرق المدينة · واللحوم والاسماك والفاكهة والحبوب على انواعها رخيصة جداً والاهالي في بسط ورخاء غير ان الاسواق والشوارع قذرة جداً ولا يهتم بتنظيفها وكنسها · تلقى فيها الاقذار وجثث الخيول والكلاب والقطط والطيور المائتة وطول النهار تحوم حولها النسور والغربان ولها رائحة كريهة ولذلك كانت الوفيات في القاهرة كثيرة جداً والاوبئة والحميات منتشرة

« اما تجارة القاهرة فواسعة جداً والتجار فيها كثيرون وفي اسواقها تباع الاقمشة البندقية والبغدادية والدمشقية والعطور والافاويه الهندية والاقمشة الحريرية الشامية والاسلحة الدمشقية الشهيرة والسجادات العجمية وسبائك الذهب والفضة والحجارة الكريمة من ماس وياقوت وزمرد · وللتجار الافرنج فنادق او وكالات مخصوصة لبيع بضائعهم وكذلك للتجار المغاربة والتونسيين والاتراك واليمنية اسواق مخصوصة وحوانيت كبيرة وتجارة واسعة · وقيل لنا ان بالقاهرة وحدها مئتي تاجر يبلغ قيمة تجارة كل منهم نحو مليون دينار ذهباً والفي تاجر تزيد قيمة تجارتهم وبضائعهم على مائة الف بندقي

« وكثيرون من اغنياء التجار والاهالي يخشون التظاهر بغناهم وثروتهم خوفاً من البلص والمغارم ومظالم الحكام . وقيل لي ان احد اغنياء اليهود وهو صرَّاف السلطان قتلت ابنتهُ زرافة في حديقة السلطان خطاءً فاضطر ابوها ان يدفع غرامة مالية لخزينة السلطان ثمانمائة الف بندقي ذهباً على سبيل التعويض ومع ذلك ظل غنيًّا معروفاً

« وقصر السلطان من ابدع قصور الدنيا زخرفة وحدائقهُ كثيرة وفيها من التحف والزخارف والرياش الثمينة مالا يدركهُ عقل ويأكل على مائدتهِ في كل يوم نحو عشرة آلاف مملوك من رجال حرسهِ واتباعهِ وفرسانهِ وتقدم العلائف في كل يوم لعشرة آلاف جواد ما عدا مرتبات الوزراء والمماليك والقواد(١)

« وايرادات السلطان من مصر والبلاد العربية وسورية وبين النهرين نحو عشرة ملايين دينار في السنة . ويقال ان في خزنة السلطان قانصوه الغوري من الذهب المكنوز خمسين مليون دينار . وفي القاهرة عشرة آلاف يهودي ولهم اسواق واحياء مخصوصة ويقطنون في حي يقال لهُ حي الصقالبة واكثرهم اغنياء وفي ايديهم الصرافة والتجارة . وفي القاهرة عشرة آلاف مسيحي بين اقباط وافرنج واروام وللاقباط كنائس كثيرة اكبرها كنيسة العذراء وكنيسة مار جرجس وكنيسة القديسة بربارة » (انتهى)

وقال الامير الروماني دلا فاله سنة ١٦١٤ في وصف القاهرة :

« نزلت ضيفاً في دار قنصل فرنسا . وهذه المدينة اكبر من القسطنطينية ورومية وباريس واهلة بالسكان وكثيرة الاتساع وبيوتها ممتدة خارج الاسوار الى مرفإ بولاق . وفيها سبع بوابات كبيرة تقفل ليلاً ويبلغ عدد شوارعها وحاراتها وطرقها نحو ثمانية عشر الفاً وفي رواية اخرى نحو ستة وعشرين الفاً . ولكل شارع وحي وحارة اسم مخصوص يعرف بهِ الاَّ انها غير نظيفة ولا منتظمة وبينها اربعة شوارع كبيرة جدًّا وطويلة ومعظم بيوتها صغيرة وضيقة ومتلاصقة ومظلمة ومع ذلك ففيها قصور عظيمة فخمة من ابنية السلاطين والامراء القدماء تعادل اعظم القصور في نابولي ورومية . واما جوامعها فكثيرة جدًّا . وكان كل سلطان يتولى الملك يبني قصراً وجامعاً ينسبان اليهِ »

(١) قال بطرس مارتيرا دانغيرا سفير الملكة ابزابلا والملك فرديناند لدى سلطان مصر سنة ١٥٠٢ في رحلتهِ ما نصهُ « ان كل مملوك من مماليك السلطان ياخذ في كل شهر ست اشرفيات ذهب (دينار) ولهُ في كل يوم ثلاثة ارطال لحم وثلاثة ارطال خبز وعلف لجواديهِ ما عدا نفقات الامراء والقواد وتبلغ نحو مائتي الف ذهب لكل منهم في السنة »

وقال سيزار لامبرت سنة ١٦٢٧ في وصف القاهرة :

« وبيوت القاهرة تمتد من القلعة الى سهل واسع بشكل بيضاوي ويقال ان فيها اربعة وعشرين الف شارع وحي مأهول · وفيها كثير من الجوامع والمستشفيات والمدارس والمارستانات · واما قصور الامراء والوزراء وقواد السناجق فعظيمة فخمة · وبينها فنادق الافرنج ووكالات التجار داخلها المخازن الواسعة للبضائع · وكانت تجارة القاهرة فيما مضى عظيمة متسعة غير انها قلّت كثيراً منذ انقطاع واردات الهند بسبب تعدي المراكب البرتوغالية على المراكب المصرية التجارية في البحر الهندي فانقطع ورود القرنفل والفلفل والزنجبيل والعطور وخصوصاً النيلة التي كانت تصدر الى كل انحاء اوربا بكثرة عظيمة · واكثر تجارة القاهرة الآن محصور في السكر والكتان والجلد والاقمشة البلدية والبخور اليمني والصمغ العربي والسوداني والحبشي وريش النعام وكل هذه تصدر الى بلاد الافرنج

« وفي القاهرة اسواق كثيرة واشهرها خان الخليلي وسوق الفحامين وسوق العبيد لمشترى الجواري · والعبدُ يباع في هذه السوق بثمانية ريالات والجارية البيضاء يبلغ ثمنها احياناً خمسمائة غرش · وتخترق شوارع القاهرة وبيوتها برك ومستنقعات وفي ضواحيها بساتين كثيرة وغياض زاهرة ومروج خضراء وتتخللها القصور والمتاحف البديعة

« واما سكان القاهرة فاظن انهم اكثر عدداً من سكان باريس غير ان وفياتها كثيرة بسبب تراكم الاقذار في طرقاتها وانتشار الامراض والاوبئة · واكد لي بعضهم انهُ مات من السكان في خلال ثلاثة اشهر من سنة ١٦١٨ ستمائة الف نفس بالطاعون · ومعظم سكانها من المسلمين وبينهم بضعة آلاف من النصارى (الاقباط) واليهود والاروام · والخضر واللحوم والمواد الغذائية كثيرة جدًّا ورخيصة الثمن في هذه المدينة وكثيرون من الاهالي ميالون الى معاشرة الافرنج فيصاحبونهم ويزورونهم ويجلسون على موائدهم ويشربون من خمرهم سرًّا

« وبيوت القاهرة حقيرة قذرة غير ان فيها كثيراً من القصور الباذخة المتينة البناء المزخرفة بالرخام والنقوش والمفروشة بافخر الرياش · والكبراء في مصر كرماء لطفاء يقدمون لكل مَن يزورهم القهوة والمشروبات والمربيات الممزوجة بالزنجبيل والعطر والمسك »

وقال في موضع آخر عن القلعة :

« والقلعة في القاهرة عظيمة الاتساع يجتاز الداخل اليها ثلاث بوابات كبيرة محصنة ثم يدخل قاعة كبيرة فيها اثنان وعشرون عموداً كبيراً من البرفير والغرانيت طول الواحد منها خمسون قدماً ومحيطهُ عشر اقدام · وعلى تيجانها النقوش البديعة والكتابات القديمة

مما يدل على انها نقلت من الهياكل القديمة في الصعيد . والديوان الكبير محاط برواق عظيم وقناطر مدعومة باعمدة كبيرة وارصفة مرصوفة بالمرمر وسقوفهُ مزينة بالنقوش المذهبة البديعة الرسم . وبجانب القلعة ميدان واسع حولهُ القاعات العظيمة والاسطبلات ومساكن الباشا والكيخيات وفي وسطهِ سارية عالية فوقها تفاحة من ذهب . ويسكن في القلعة الآن امير كبير من الامراء السابقين جاوز من العمر الثالثة والتسعين ويدعى الامير قانصوه بك وجعل كل عبيدهِ ومماليكهِ حكاماً وكشافاً وسناجق وبينهم ثلاثة عشر سنجقاً يحكمون الآن مديريات البلاد . وبين الامراء العظام قانصوه الاكبر اعطي رتبة الوزارة من استانبول وعندهُ كثيرون من السناجق والجنود تحت امرتهِ وهو غني جداً ذو ثروة طائلة تقدر بالملايين يتبرع كل سنة للخزينة السلطانية في استانبول بستة ملايين ذهب بندقي . وكان هذا الامير في الاصل مملوكاً لبعض البكوات الشراكسة اشتراهُ سيدهُ من سوق العبيد بخمسة غروش ثم اعتقهُ وامَّرهُ قبل موتهِ »

وقال في موضع آخر :

« ويجلب الماء الى القلعة من النيل باقنية فوق قناطر عالية عددها ثلاثمائة وخمسون قنطرة وعلو كل قنطرة منها ثلاثون قدماً تملأ منها الآبار والصهاريج وتسقى البساتين حول القلعة . وتوزع على صهاريج الجوامع وقصور الامراء والسبل العمومية في الشوارع لشرب الاهالي والفقراء وعابري السبيل وفي فم الخليج سواقٍ وآلات كثيرة لرفع المياه من النيل الى هذه القناطر »

وقال تفنود سنة ١٦٣٥

« والقاهرة قائمة عند سفح المقطم على شكل هلال حول القلعة بعيدة عن نهر النيل . وكانت قديماً عند شاطئ الروضة في مصر القديمة في بقعة يقال لها الفسطاط . والماء يجلب اليها على الجمال من بولاق بقربٍ من الجلد واما الفقراء فيستقون الماء من البرك والمستنقعات وهي كثيرة تتخلل البيوت والشوارع ولذلك تكثر فيها الامراض لان ماءها راكد متعفن . وهذه المدينة عظيمة متسعة كثيرة السكان . وقال بعضهم انها اكبر من باريس . ويوماً ما اتفقت مع بعض مواطني من الافرنج واستأجرنا الحمير ودرنا حول المدينة مدة ساعتين ونصف في سير متمهل فمحيطها على ما رأيت ستة اميال . وفي يوم آخر ركبت من فم الخليج مع جندي انكشاري استأجرتهُ لحراستي ومشينا على موازاة مجرى الخليج حتى وصلنا الى آخرهِ في مدة ساعتين فعددت خطواتي بواسطة كمية من حبوب الفول وضعتها في جيبي وكنت كلما

شجرة البلسم

مقتطف سبتمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٢٦٩

سرت مائة خطوة التي فولة فوجدتهُ على هذا الحساب خمسة آلاف ومائة خطوة

« والبيوت داخل المدينة متلاصقة مزدحمة بالسكان الاَّ انها متفرقة في الضواحي . وبين القاهرة و بولاق برك كثيرة حولها قصور فخمة ومقاصف بديعة للامراء والعظماء كثيرة الغياض والبساتين والاشجار المثمرة . واكبر هذه البرك بركة الازبكية يمر فيها الخليج

« وفي القاهرة ثلاثة وعشرون الف حي او محلَّة وفي كل حي شوارع وحارات كثيرة وفي كل شارع منها جامع على اقل تقدير . وفي كل حيٍّ رجلان يقومان بحراستهِ ليلاً وهذان الرجلان ينتخبان من رجال الحي بالمناوبة وهما مسئولان عن كل سرقة او حادثة تحدث اثناء حراستهما . وللمدينة سبع بوابات مصفحة بالحديد يقوم بحراسة كل منها سوباشي وبيدهِ مفاتيح المغلاق . وكل شوارعها وطرقها ضيقة كثيرة الاقذار ماعدا سوق الافرنج (الموسكي) وخان الخليلي . وكل انسان حر في البناء وربما بنى بيتاً عند ملتقى الطرق ولا يعارضهُ احد اذ ليس هناك قانون للتنظيم »

المطرية وشجرة البلسم

قال السائح تنودسنة ١٥١٢ عند وصفهِ وصول سفير فرنسا الى المطرية : « واستقبلنا من قبل السلطان ترجمانهُ الاول تانغر يباردي (وقد سبق ذكرهُ في مقالة سفارة البندقية) وهناك بستان عظيم للسلطان حولهُ سور عالٍ مزروع بشجر البلسم وبجانبهِ قصر فخم يقيم فيهِ اوقاتاً معلومة . ولا يسمح لاحد قط بالدخول الى بستان البلسم الاَّ بامر السلطان غير ان الترجمان سمح لنا بالتفرج عليهِ بنوع استثنائي اكراماً لمنزلة السفير . فادخلنا اليهِ خمسة بعد خمسة . فدخل السفير اولاً مع القنصل وشاه بندر تجار الافرنج بالقاهرة واحد النبلاء من اتباع السفير ثم دخلت انا . فاقترب الترجمان من احدى الشجرات واخذ سكيناً من عاج وجرح بها ساقها فسال منها لعاب اسمر عطري الرائحة ملأَ منهُ قارورة صغيرة ثم سكب منهُ بعض نقط على ظاهر كف السفير والقنصل والنبيل وبعد هنيهة سال العطر من باطن الكف كالعرق وعبق الارجاء برائحتهِ الذكية

« وقد اخذ السفير بسماح السلطان بضع قوارير من هذا البلسم الثمين اهداها بعد رجوعهِ الى فرنسا الى الملكة وارشيدوق النمسا ومطران ما يانس والدوقة مار يَّا ابنة دوقة دي بورغونيا وغيرهم من الامراء والاميرات وهذا البستان خاص بالسلطان ولا ينبت البلسم في مكان غيرهِ ويستخرج منهُ في كل سنة كمية وافرة يرسل منها السلطان هدايا الى بعض الملوك والامراء وامبراطور خيتا (Khita) ؟ وملك الحبشة والتركي العظيم (سلطان الاتراك)

وشاه الفرس · وقد اخذ بعض النبلاء والزوار من اتباع السفير شيئاً من هذا العطر بعد ان دفعوا مبلغاً طائلاً

« وهذا العطر نقي شفاف خاثر القوام بخلاف العطر الذي يباع في اسواق فرنسا مقلداً تحت اسم « عطر البلسم المصري » وقد الف العالم الالماني نودلوف دي شودهيم والاخ ار يوستو وفابر كتبا عن هذا العطر بينوا فيها الفروق التي تميز العطر الحقيقي السلطاني من المقلد وطبعت هذه الكتب في المانيا سنة ١٤٧٣ [١]

وقال تنود في موضع آخر

« ولما حدثت الفتنة بين ابن السلطان اتابك وبين الامير قانصوه الملقب بخمسمائة التجأ هذا للقلعة ثم هرب واختبأ في قصر المطرية فاتبعهُ السلطان الفتى وحاصرهُ ودخلت جنودهُ الى بستان البلسم فقلعوا اشجارهُ ليتمكنوا من مهاجمة الامير في قصرهِ · ولم يبقَ من هذا الشجر الثمين في البستان سوى بعض اشجار فقل ايراد العطر مدة عشر سنين الى ان نمت الشجيرات الصغيرة التي زرعت حديثاً » وقال سائح آخر الماني بعد تنود :

« وبالقرب من القاهرة بلدة المطرية حيث شجرة العذراء وهي من الجميز وبجانبها عين ماء صافية تنبع من الارض وهناك بستان كبير يزرع فيهِ شجر البلسم يستخرج منهُ عطر وهو اجود واثمن عطر في العالم اجمع · واجود من العطر الذي يستخرج من بلسم بلاد العرب والهند · واذا وضعت نقطة منهُ في باطن الكف فانها تسيل الى ظاهر الكف كالعرق · واذا وضعت منهُ نقطة في الماء فانها لا تختلط بهِ بل تغور الى اسفل الاناء ثم يمكن اخراجها بواسطة دبوس · وهذا العطر يشفي كل جراح الجسم مهما كانت بليغة ويطهرها من الفساد واذا دهنت بهِ دجاجة مذبوحة فانها تبقى دهراً ولا يعتريها الفساد · ولا تنبت هذه الشجرة

---

(١) شجرة البلسم قديمة في مصر كما قال احمد بك كمال في كتابهِ اللآلئ الدرية في النباتات والاشجار المصرية القديمة « والبلسم شجر يستخرج منهُ عطر » وقال المستر لاين قنصل انكلترا بمصر في القرن السابع عشر ان البلسم شجرة كانت تزرع في حدائق السلطان بالمطرية ويستخرج منها عطر ذكي الا ان هذه الشجرة انقرضت منذ القرن الثامن للهجرة · ورجحت دائرة المعارف ان اصل هذه الشجرة من البلاد العربية · وقال بعضهم انها من بلاد الهند غير ان الرأي الاول هو الارجح لان التوراة نفسها ذكرت البلسم في جلعاد وجلعاد في البلاد العربية حيث قيل « أَلا بلسم في جلعاد اوليس هناك طبيب فلمَ لا يشفى جرح ابنة شعبي » (ارميا ٨ : ٢٢) وفي قاموس دوزي Dozy العلمي ان البلسم على انواع كثيرة اشهرها البلسم العربي · والزهر البلسمي وبلسم اليهودية والبلسم الابيض Opabalsamum وبلسم كوباي والبلسم المائع Myrrhe Stactée والبلسم الهندي

في غير هذا البستان والذي يستخرج منهُ الآن قليل جداً بالنسبة الى ما كان يستخرج في الزمن السابق . وهذا البستان واسع جداً يخفرهُ حرس مسلح من قبل السلطان . ولا يسمحون لاحد بالدخول اليهِ وخصوصاً اذا كان مسيحيًا او يهوديًا لانهم يعتقدون انهُ اذا لمس احدهم شجرة ما فانها تيبس »

وقال ماليت قنصل فرنسا بمصر سنة ١٦٧٢ :

« ولما اقتربنا من القاهرة وصلنا الى بلدة المطرية حيث شجرة العذراء والينبوع الطبيعي واظن انهُ الينبوع الوحيد في مصر كلها . وهناك بستان عظيم كان يزرع فيهِ البلسم ويستخرج منهُ العطر والكنيسة القبطية تشتري منهُ في كل سنة مقداراً يسيراً بمال كثير لمزجهِ بماء الميرون الذي يدهن بهِ الاطفال حين العماد حسب الطقس الشرقي

« ومنذ مائة سنة انقرضت هذه الشجرة وليس في البستان الآن سوى بضع شجيرات صغيرة . والباشا حاكم مصر كثير الاهتمام بها غير انهُ لا يستخرج منها الآن عطر لانها صغيرة وطول الشجرة قدم واحدة وثخنها بقدر الابهام »

وقال في وصف شجرة البلسم بعد ان رسم صورتها التي نقلناها من كتابهِ

« ولا يزيد طول شجرة البلسم على ثلاثة اذرع وورقها صغير اخضر لماع تزهر وتثمر ثمراً صغيراً كاللوز وقشرة الشجرة مزدوجة فالظاهرة تغلب عليها الحمرة والداخلة السمرة . ومن بين القشرتين يخرج العطر المشهور ولهُ رائحة ذكية »

وقال وانسليب سنة ١٦٧٥ :

« ذهبت في ٢٧ يوليو مع بعض التجار الفرنسويين لزيارة شجرة العذراء في مكان يدعى المطرية على بعد بضع مراحل من القاهرة وللتفرج على الاماكن الاثرية والبستان المشهور الذي كان يزرع فيهِ شجر البلسم . فدخلنا مرجاً اخضر بجانبهِ مصلى اسلامي بناهُ ابرهيم باشا احد باشاوات مصر منذ خمس عشرة سنة على انقاض كنيسة قبطية قديمة بقرب البئر المعروفة بالعجائبية ومنع المسيحيين من زيارة شجرة العذراء والدخول الى هذا المكان . وقد الغي هذا المنع بعد ان عزل الباشا

« وبالقرب من هذا المصلّى المدعو عندهم « المقعد » بركة من المرمر الملون يجرى اليها الماء من البئر العجائبية بقناة تحت الارض . وفي تقاليد الاقباط ان العذراء كانت تستقي الماء وتغسل ثياب ابنها في هذه البركة . وقد اجيز اخيراً للكهنة الافرنج اقامة قداس سري في هيكل يقام قرب الشجرة والمصلى . واما البئر العجائبية فواسعة الفم عميقة جداً وماؤها عذب

لذيذ الطعم ويقال انهُ جارٍ من النيل . وقرأت في كتاب عربي لمؤرخ يدعى عمرو بن الوردي ان سيدنا المسيح اغتسل في هذه البئر . وكان ماؤُها ملحاً اجاجاً فصار عذباً حلواً . واري ان ماء هذه البئر من ينبوع طبيعي لا صلة لهُ بماء النيل اولاً لبعد النهر من المطرية وثانياً لان ماءها يبقى على مدار السنة صافياً ولا يزيد ولا ينقص بخلاف ماء النيل الذي يفيض ويتعكر في ايام الفيضان . وقرأت في كتاب خطي لمؤرخ عربي يدعى ابن الحكم اشتريتهُ واضفتهُ الى مكتبتي العربية التي اخذتها معي الى اوربا ان ماء هذه البئر النجائبية يسقي شجر البلسم وهو لا يعيش ولا ينمو الأَّ بها وان اصل مائها من بئر زمزم في مكة . وحقيقة الامر ان البلسم العطري المشهور الذي كان مزروعاً في بستان المطرية وانقرض الآن من الوجود لا يعيش ولا ينمو في غير هذا المكان

« وبعد ان استرحنا واكلنا ما تيسر لنا دخلنا الى بستان البلسم ولم يكن فيهِ سوى شجيرة واحدة لا يسمح لاحد بالدنو منها او بلمسها وقد وصفت في كتابي الاول الذي كتبتهُ بالايطالية ودعوتهُ الكنيسة الاسكندرية هذه الشجرة وصفاً وافياً وكيفية استخراج العطر منها وفي هذا البستان شجرة الجميز القديمة المعروفة بشجرة العذراء التي استراحت تحت ظلها السيدة البتول مع ابنها

« وبين آباء الاراضي المقدسة المعروفين بالجبليين المحافظين على هذا المكان المكرم وبين المشايخ المسلمين سكان المطرية خلاف عظيم بسبب هذه الشجرة فكل فريق يدعي ملكيتها فالمشايخ يقولون ان الشجرة القديمة شاخت وقلعت من مكانها وهذه غيرها من املاك البستان السلطاني . والرهبان يقولون نعم ان الشجرة القديمة قلعت سنة ١٦٥٦ وحفظت داخل الكنيسة كتذكار اثري محترم الأَّ ان هذه الشجرة النامية فرع من فروع القديمة نمت وكبرت في مكانها الى ان وصلت الى هذا الحد . واني لا ادخل في معمعة هذا الجدال لان المسألة ليست بذات اهمية كبيرة

« وقد عثرت في كوسكام وهو دير قبطي قديم بالقرب من منفلوط على كتاب قديم جداً باللغة الحبشية حصلت عليهِ بعد شق النفس وبذل المال . وفيهِ شرح وافٍ عن المطرية وشجرة العذراء والصورة العجائبية الموجودة في كنيسة للاقباط بالقرب من هناك تدعى منية السويد . وعن شجرة البلسم وكيفية زرعها واستخراج العطر منها . وساترجم هذا الكتاب الى اللغة الايطالية عند رجوعي الى بلادي واطبعهُ ان شاء الله . وبعد ان زرنا المسلة القديمة عدنا الى فندقنا بالقاهرة »

ديمتري نقولا

القنابل الانكليزية الكبيرة

مقتطف سبتمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٢٧٣

همة الانكليز في هذه الحرب

كان عدد البحارة في السفن الحربية الانكليزية ١٤٠٠٠٠ سنة ١٩١٤ فصار ٣٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٦ و ٤٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٧ لكثرة ما زيد فيها من البوارج ونحوها

وكان عدد الجنود العاملين وقت السلم نحو ٢٠٠٠٠٠ فصاروا الآن ٥٠٠٠٠٠٠ وكان عدد جيش المستعمرات ٣٥٠٠٠٠ سنة ١٩١٥ فصار الآن ١٠٠٠٠٠٠

وقد بلغ عدد الاسرى الذين اسرهم الانكليز من الالمان في الميدان الغربي ٨٥٠٠٠ الى حد يونيو الماضي وعدد الاسرى الذين اسرهم الالمان من الانكليز هناك ٣٦٠٠٠ وبلغ عدد المدافع التي غنمها الانكليز من الالمان الى ١٥ يونيو الماضي ٤٨٥ والزيادة مستمرة

وغنم الالمان من الانكليز ٧٠ مدفعاً فقط ٦٠ منها في التقهقر من مونس سنة ١٩١٤

وكان عند الانكليز قبل الحرب ثلاثة معامل فقط لعمل الاسلحة والذخيرة فصار عندهم الآن تسعون معملاً والعمل فيها مستمر نهاراً وليلاً وعندهم عدا ذلك ٤٠٠٠ معمل آخر تخصصت لعمل الذخيرة . ويبلغ عدد العمال في معامل الاسلحة والذخيرة الآن ثلاثة ملايين من الرجال ومليونًا من النساء

وقد زاد عدد ما يصنع في الاسبوع من القنابل الكبيرة جداً ٤٢٥ ضعفاً منذ اول انشاء وزارة الذخيرة الى الآن وزاد عدد المدافع الكبيرة التي صنعت في السنة الثانية ١٨٤٣ ضعفاً عمَّا كان في السنة الاولى والتي صنعت في السنة الثالثة ٣٦٠٠ ضعف

وان شئت ان تتصور كبر القنابل الكبيرة فانظر الى الصورة المقابلة حيث ترى اربعة رجال يساعدون الآلة الرافعة على انزال قنبلة من هذه القنابل الى مركبة تنقلها الى حيث المدفع الذي تُطلق بهِ فانها أطول من رجل واغلظ من رجلين . وهي ترفع كذلك وتزج في المدفع من خزنتهِ ويوضع بعدها البارود الذي تراهُ في كيس كبير على المركبة ثم تقفل خزنة المدفع ويشعل الذخير فيشتعل البارود ويدفع القنبلة مسافة عشرين ميلاً الى ثلاثين بعد ان تعلو في الجو بضعة اميال ومتى وصلت الى الارض وانفجرت فتحت فيها فوهة كفوهة البركان وخرَّبت كل شيءٍ تصل اليهِ شظاياها . والويل للذين على مقربة من موقعها . ولقد كان الالمان يخافون من انضمام الانكليز الى الفرنسويين والروس فثبت لهم ان خوفهم كان في محلهِ ولعلهم رأوا الآن اكثر مما قدَّروا

باب الزراعة

التعاون في الزراعة

وعدنا في مقتطف اغسطس ان نلخص الفصل الاخير من كتاب التعاون في الزراعة لانهُ خاص بهذا التعاون في مصر فيحسن بكل المشتغلين بالزراعة ان يطلعوا عليهِ . بدأ المؤلف هذا الفصل بقولهِ

« لا شبهة في ان الفلاح المصري من اشد الناس افتقاراً للتعاون فاننا كيفما قلبنا الطرف في شؤون حياتهِ نراهُ عاجزاً عن تدبيرها تدبيراً يعود عليهِ بأقصى ثمرات عملهِ لما ينقصهُ من المعارف والخصائص التي يقتضيها الفوز في سبيل الحياة. نعم انهُ على جانب عظيم من الصفات الطيبة التي لا غنى عنها للنجاح ولكن هذه الصفات وحدها لا تكفي لادراك تلك الغاية

الفلاح المصري كدود غير ملول صبور على المكارهِ دئب على اشق الاعمال من قبل شروق الشمس الى ما بعد غروبها في جميع اوقات السنة غير شاك او متأفف من حر الصيف وقر الشتاء قنوع بالكفاف من العيش قلما يفكر في الانصراف الى البذخ والنعيم في ملبسهِ ومأكلهِ ومشربهِ وقلَّ ان يكون اسيراً للخمر فهو اذن اداة مثلى لاستغلال الارض »

ثم قال « ان هذا الرجل المجد الذي نرى صورتهُ في آثار الفراعنة الاقدمين وهو عريان لم يتدثر الاَّ بخرقة تستر عورتهُ واقف في شمس الهاجرة يعمل في الشادوف ليرفع الماء من النيل لري زرعهِ جدير بان يكون صاحب الحق الاول في خيرات الارض التي يفلحها »

وقد يتبادر الى الذهن من هذه العبارة الاخيرة ان خيرات الارض تذهب الى غيرهِ من المالكين او المرابين ولكن ليس هذا غرض المؤلف بل غرضهُ ان الفلاح لا ينال كل خيرات الارض لانهُ يجهل كيفية الحصول عليها والاحتفاظ بها بدليل قولهِ بُعيْد ذلك « ولكن الواقع ان هناك كثيراً من العوامل التي حرمتهُ من جانب كبير من نصيبهِ من تلك الخيرات »

ثم شرح هــذه العوامل فقال انها جهل الفلاح بالقراءة وهذا الجهل حرمهُ من مطالعة نشرات وزارة الزراعة التي تتوخَّى فيها ايقاف الفلاحين على وسائل الوقاية من الآفات التي تصيب الزرع وتوجيه عنايتهم الى بعض وجوه الاصلاح الزراعي التي تتناول الحرث والغرس والري والتسميد والحصاد وانتقاء البذار . وقس على ذلك ما يذاع من الفوائد

الزراعية في الكتب والمجلات والصحف · ثم بيَّن ان الزراعة صارت علماً وان المطَّلع على اصول هذا العلم العامل بها يستغل من الارض اكثر ممَّا يستغل غيرهُ ولا يتفق ذلك الأ للفلاح المستنير الاخذ بمستحدثات العلم الزراعي

واشار الى ضرر آخر من اضرار الامية وهو سهولة وقوع الفلاح الامي في حبائل «المحتالين وخصوصاً المرابين الذين اتخذوا من جهلهِ وحاجتهِ الى المال وسيلة لامتصاص دمهِ واستلاب ملكهِ الضئيل فترتب على ذلك قيام الشكوك والهواجس في نفسهِ واخذتهُ المخاوف من جميع الناس وقلة ثقتهِ بهم ومال الى ظن السوء بكل مَن يعاملهُ فتوهم فيهم الرغبة الى ختلهِ او غبنهِ وكثيراً ما دفعهُ هذا الوهم الى التذرع بالحيلة والخداع والجنوح الى المطل واستباحة حقوق سواهُ »

«اضف الى ذلك ان المصارف فتحت في وجههِ ابوابها ومهدت لهُ سبل الاستدانة برهن عقارهِ فكان ذلك من العوامل الجديدة التي طرأت على حياتهِ وهو لم يحصل بعد على التربية الاقتصادية التي ترشدهُ الى جر النفع من وراء تلك العوامل · نعم ان كثيراً من اهل الحزم والفطنة من صغار الفلاحين قد انتفعوا من الرهن العقاري نفعاً جمًّا لم يكونوا ليحصلوا عليهِ بغير ذلك من الوسائل في سبيل اصلاح اراضيهم وتوسيع نطاقها غير ان السواد منهم غرَّهُ تدفق الاموال حواليهِ فتدهور في هوَّة الاقتراض وتغلغل في قيود الدين وبعد ان كان مديناً للمرابي وحدهُ اصبح مديناً لهُ ولبنوك الرهن معاً ودفعهُ قصر النظر في الشؤون المالية الى الانفاق عن سعة مما اقترضهُ غير حاسب حساباً لصعوبة الوفاء مع تراكم الفوائد حتى لقد يصح ان يقال انهُ اصبح يفلح الارض لفائدة دائنيهِ »

ولا ندري هل احصى احد عدد الذين وقعوا في شرك الدَّين وغُبنوا او اسرفوا فوجد ان اكثرهم من الاميين الذين يجهلون القراءة والكتابة لا من الذين لا يجهلونهما · فان الذي نعلمهُ بالاختبار ان الرجل الذي يجهل القراءة والكتابة والحساب اذا كان صاحب ملك فهو في الغالب اقدر في المعاملات من ابنهِ المتعلّم واحرص منهُ على حفظ المال وابعد منهُ عن الاسراف · ولكن اختبارنا غير واسع فلا يحق لنا ان نبني عليهِ حكماً

ثم قال المؤلف « ان الفلاح مغبون في شراء البذور والسماد وبقية حاجات الزراعة مغبون في بيع حاصلاتهِ مغبون في سعر الفائدة التي يؤديها على المال المقترض وفي شروط اقتراض ذلك المال · وقد جرى غبنهُ هذا مجرى الامثال على ألسنة الناس في هذه البلاد وخصوصاً من كابد منهم شؤون الحياة القروية

« فهو اذاً في حاجة الى العلم في حاجة الى المال في حاجة الى تدبير امور زراعتهِ تدبيراً يقلل من نفقاتها و يعلي من ثمراتها و يعود عليهِ باقصى نصيب من تلك الثمرات »

واستطرد من هذه النتيجة الى وجوب التعاون في الزراعة قائلاً انهُ « افضل حل لمسألة الزراعية وخير وسيلة لترقية شأن الزراع وانارة بصائرهم وتنظيم مواردهم وحماية مرافقهم

« ومما يزيد الشعور بالحاجة الى التعاون في هذه البلاد ان اولئك الفلاحين الصغار الذين وصفنا سوء حالهم بوجه الاجمال ليسوا بالفئة القليلة بل هم عامة الزراع وركن الثروة الزراعية الاول كما يتضح من الاحصاء الآتي الذي وضع في سنة ١٩١٥ (١)

	عدد	مساحة الملك فدان
ملاك وطنيون يمتلكون ما لا يزيد عن ٥ افدنة	١ ٤٤٠٫٥٩٥	١٤٣٠٫١١٦
. . . اكثر من ٥ الى ١٠ افدنة	٧٥ ٣٧٣	٥٢٣ ١٧٤
. . . . ١٠ – ٢٠ فدانًا	٣٦ ٠٣٣	٤٩٥ ٦٥٨
. . . . ٢٠ – ٣٠	١٠ ٧٢٥	٢٦٠ ٧٨٦
. . . . ٣٠ – ٥٠	٨ ١٥٤	٣١٣ ٩٠٢
. . . . ٥٠ – ...	١٠ ٧٨٥	١ ٧٢٦ ٨٩١
الجملة	١ ٥٨١ ٦٦٥	٤ ٧٥٠ ٥٢٧

« ولذلك تحركت همم المصلحين واتجهت عنايتهم الى تمهيد السبيل لادخال نظام التعاون في هذه البلاد وكان من الطبيعي ان يقوم على رأس هذه النهضة المباركة كبير النبلاء الذي اجمع الناس بحق على تلقيبهِ بأبي الفلاح صاحب العظمة السلطان حسين الاول مذ كان رئيساً للجمعية الزراعية الخديوية (السلطانية الآن) فانهُ اعزهُ الله وابقاهُ بعد ان رأى رأي العين تلك النتائج العجيبة التي عادت على فلاحي البلاد الاوربية من وراء التعاون اخذتهُ الغيرة على مصلحة الفلاح المصري فدعا الى تأليف لجنة في ربيع سنة ١٩٠٨ من كبار الزراع تحت رياستهِ لدرس المشروع وتقرير وسائل تنفيذهِ وفي ذلك الابان بعينهِ قام المرحوم المبرور عمر بك لطفي بدعوتهِ التعاونية وقضى صيف تلك السنة في ايطاليا باحثاً

(١) عن كتاب الاحصاء السنوي العام للقطر المصري سنة ١٩١٦ الذي اصدرتهُ مصلحة عموم الاحصاء

منقباً منكباً على درس المنشاءات التعاونية التي اقامها الاقتصادي الكبير لوتساتي وهي التي اشرنا اليها في غير هذا المكان . و بعد عودتهِ من هناك اخذ في نشر الدعوة الى التعاون فكان من ثمرات تلك الدعوة انشاء شركة التعاون المالي في القاهرة في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩ برعاية عظمة السلطان حسين وسمو الامير يوسف كمال برأس مال قدره ٣٤١٢ جنيهاً ثم انشئت على يديهِ عدة شركات للتعاون المنزلي في القاهرة و بعض عواصم القطر . واول شركة تعاون زراعية هي نقابة شبرا النملة التي أُسست في ٢٥ ابريل سنة ١٩١٠ برياسة حضرة سليمان بك زكي العبد عمدة تلك القرية وقد انشئت بعد ذلك على مثالها عدة نقابات اخرى في بعض القرى اقدمها نقابات نشيل وناهيه وسنتماي وكوم النور واوليله ومحلة دياي

« اما لجنة اعيان الزراع المتقدم ذكرها فكان من نتائجها ان اللجنة التنفيذية للجمعية الزراعية اجتمعت في ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩ وعينت لجنة من الاختصاصيين لدرس الموضوع وتقرير ما تراهُ فيهِ فقررت ان نهضة التعاون الزراعي في البلاد تتوقف على تشريع خاص يسهل انشاء شركات التعاون و يحررها من قيود القانون العام التي لا تتفق مع مبادىء التعاون ووضعت مشروع قانون لهذا الغرض لبث محلاً للنظر الى ان ندبت الجمعية في سنة ١٩١٢ مسيو ربييه المفتش العام في وزارة الزراعة الفرنسوية وقتئذٍ فبحث ذلك المشروع بحثاً وافياً ووضع مشروعاً آخر لا يختلف عنهُ اختلافاً جوهرياً

« كل ذلك والحكومة ترقب بعين الاهتمام هذه الحركة الفكرية الى ان صدر قانون الخمسة الافدنة في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٢ وكان من نتائجهِ غل ايدي صغار الزراع عن الاستدانة لان ضمان دائنيهم اصبح قاصراً على غلة اطيانهم فاصبح من المتعيّن التعجيل بسن قانون للتعاون الزراعي يسهل على هؤلاء الزراع الحصول على ما يفتقرون اليهِ من المال وغيرهِ من الوسائل اللازمة لاستغلال املاكهم استغلالاً يعود عليهم بالنفع المنشود فانشأت الحكومة مشروع قانون في اوائل سنة ١٩١٤ وعرضتهُ على الجمعية التشريعية فبحثتهُ في جلسات ١٤ و ١٥ و ١٦ يونيه من تلك السنة واقرتهُ بعد ادخال بعض التعديل عليهِ . على ان هذا المشروع لم يصدر بهِ المرسوم السلطاني بعد لان بعض نصوصهِ لا تزال محلاً للنظر فضلاً عن ان الشؤُون الخطيرة التي نشأت عن الحرب الحاضرة قد حالت دون الاهتمام بامر النهضة التعاونية الى حين

« وقد توخت الحكومة بسن ذلك القانون قيام شركات التعاون الزراعية على مبادىء التعاون الصحيحة وتدبير الوسائل الكفيلة بحماية مصلحة اعضائها ومعامليها وتخويلها شيئاً

من المزايا التي تعينها على بلوغ اغراضها السامية كما سيجيء تفصيلاً

ومن اهم الامور التي اتجهت اليها عناية الشارع وضع شكل قانوني لتلك الشركات يتفق مع اغراضها والمبادىء التي تقوم عليها وذلك لان النصوص التي وردت في القانون العام عن الشركات على اختلاف انواعها لا تلائم على اطلاقها حالة شركات التعاون فان لم يوجد قانون خاص لهذه الشركات اضطر منشئوها الى الاجتهاد القانوني في اقتباس متفرق النصوص من القانون العام وتقييدها قدر الاستطاعة بما يتفق مع مبادىء التعاون

« ولا يخفى ان النظام الذي تقوم دعائمهُ على محض الاجتهاد في تصريف القانون يندر ان يسلم من النقض باحكام القضاء ولا يقاس في شيء بنظام اساسهُ التشريع الصحيح

« ولايضاح ما تقدم يتعين علينا ان نصف انواع الشركات المختلفة كما يؤْخذ من احكام القانون العام الواردة في شأنها »

ويلي ذلك قوانين الشركات المنصوص عليها في القانون المصري وهي مما يجب ان يرجع اليهِ كل من يشاء ان ينشئ شركة في القطر المصري وبعدهُ نص القانون المشار اليهِ آنفاً الذي وضع لشركات التعاون وهو عشرون مادة . واتبعها المؤَلف بشرح موجز علقهُ على كل مادة منها . ولقد احسن بهذا الشرح غاية الاحسان ولاسيما حيث ذكر اوجه الخلاف بين الحكومة والجمعية التشريعية كما في الاختلاف على المادة الثانية التي يقال فيها « ان شركات التعاون الزراعية تتكون بعقد رسمي او عرفي مصدق فيهِ على توقيعات المتعاقدين » فقد قال ان هذه المادة كانت مثار خلاف شديد بين الحكومة وبعض اعضاء الجمعية التشريعية فالحكومة ترى انهُ يجب ان لا تنشأ شركات التعاون الزراعية الا بترخيص وزير المالية . والاعضاء الذين يخالفونها قالوا بوجوب اطلاق الحرية للناس في تأليف هذه الشركات بلا حاجة الى ترخيص اداري . وقد كانت الاغلبية في صف هذا الرأي الاخير فاقرَّتهُ الجمعية . ودافع هو عن رأي الحكومة وبيَّن احقيتهُ بكلام مسهب وادلة مقنعة

وقد انتقد على بعض المواد كالمادة التاسعة وقال في الختام ان الحكومة توخت من هذا القانون وضع نظام وطيد الدعائم لشركات التعاون الزراعية يطلقها من قيود القانون العام التي لا تلائم مصلحتها ويضمن لها التمتع بالشخصية المعنوية ويكفل قيامها على مبادىء التعاون الصحيحة وحماية مصلحة اعضائها ومعامليها

وسنعود الى تتمة هذا الفصل في الجزء التالي

زراعة البطاطس

قال مكاتب المقطم من اشمون : البطاطس من المواد الغذائية الضرورية في قطرنا وقد قل الوارد منهُ من اوربا في السنوات الثلاث الماضية بسبب الحرب لذلك غلا ثمنهُ في اسواق مصر حتى حرم الفقير طبخهُ . فاهتمت وزارة الزراعة بالامر ورأت ان الفرصة سانحة لتعميم زرع البطاطس في الاراضي الملائمة لزرعهِ فيها وارشاد الزراع الى طرق زرعهِ وعهدت الى معاونيها في افهام الزراع ما ينالونهُ من الفائدة اذا عملوا بارشادها وتعليمها وقد عمل الزراع بذلك فاقبلت زراعتهم واصابوا ربحاً وافراً ولما كان في ذكر الطرق التي اتبعت في زرع البطاطس فائدة للزراع قابلت بعضاً من ذوي الخبرة في زرع هذا الصنف فكان محصل ما قالوهُ لي هو

ان الارض التي تصلح لزرع البطاطس هي الارض الصفراء الخفيفة فان المحصول يكون وافراً فيها والنوع جيداً . اما الزمن الذي يوافق فيهِ الزرع فشهرا فبراير واغسطس اعني مرتين في السنة . اما محصول زرع فبراير فيسمى بالصيفي ومحصول اغسطس بالشتوي وهاك طرق زرع البطاطس

تحرث الارض ثلاث مرات وتزحف وتخطط على ابعاد متساوية بين كل خط وخط ٦٥ سنتمتراً ثم تمسح بالفأس بعناية تامة بحيث تصير التربة ناعمة جداً ثم توضع التقاوي وهي اجزاء من البطاطس التي فيها عيون (بزور) قوية في الثلث الاعلى من الخط على ابعاد مختلفة ففي الارض الضعيفة توضع على ابعاد بين الواحد والآخر ٣٥ سنتمتراً . اما في الارض القوية فتوضع على ابعاد من ٤٠ سنتمتراً الى ٤٥ سنتمتراً ثم تروى الارض وبعد ٢٠ يوماً الى ٢٥ يوماً تعزق بالفأس بكل دقة ويكون حينئذٍ قد ظهر النبات على الخطوط ويمكن في هذه الحال ترقيع مكان الفاسد من التقاوي التي لم تنبت . وتروى الارض اربع مرات بين كل رية واخرى عشرون يوماً . وقبل استخراج المحصول من جوف الارض بخمسة وعشرين يوماً تمنع المياه عن الزراعة بتاتاً لكي تجف فيستخرج المحصول سليماً ولا يتطرق التعفن اليهِ بعد ذلك وهو في المخازن

هذا وقد رأيت زراعة بطاطس في عزبة صاحب العزة اسكندر بك مسيحه في ناحية الحما فراقني ما رأيتهُ من عنايتهِ وشدة اهتمامهِ بها . وعلمت ان متوسط محصول الفدان مئة وخمسة عشر قنطاراً وصافي ثمنهِ نحو خمسين جنيهاً . وهو محصول جيد في جانب المحاصيل

الاخرى · فحبذا لو عممت زراعة هذا الصنف في الاراضي الموافقة لهُ التي ذكرت وصفها في رسالتي هذه لانهُ يأتي بمحصول جيد والسلام

مؤتمر الحبوب

عقد مؤتمر الحبوب في مدينة كنساس باميركا ونظر في قلة مواسم الحبوب في الدنيا فاشار بالامور التالية

(١) ان تضمن الحكومة سعراً معيناً للحبوب لا تهبط قبل مضي سنة بعد انتهاء الحرب

(٢) التبكير في زرع الحبوب على قدر الامكان ولاسيما اذا زرعت كشفاً

(٣) اختيار التقاوي وقت الدراس للموسم المقبل ولتكن على تمام النظافة وتعالج المعالجة التي تمنع ظهور الآفات فيها اذا كانت معرَّضة لها

(٤) تزرع في كل ناحية اصلح التقاوي للزرع فيها ويجب على مدارس الزراعة ودواوين الزراعة ان تهتم بتعيين الاصناف الصالحة لكل جهة

(٥) يجب منع الاعشاب الغريبة من النمو مع الزرع باستعمال التقاوي الخالية من بزورها او بزرعها بعد زراعة اخرى تنظف الارض من الحشائش كالبرسيم

(٦) يحسن امتحان قوة البزور على الانبات في دور الحكومة الخاصة بذلك وذلك قبل زرعها لاختيار ما يقل البزر الميت منهُ

(٧) يحسن معالجة التقاوي مهما كان نوعها بالعلاج الذي يمنع ظهور مرض الخميرة والصدإ فيها

(٨) اذا وجد في الاطيان اعشاب تصاب بمرض الصدإ او مرض الخميرة وجب استئصالها منها قبل زرع الحبوب فيها

(٩) يتلف كثير من الحبوب وقت ضمها ودرسها وتذريتها فيجب الانتباه لذلك ليقل التلف على قدر الامكان

(١٠) يجب ان يعتاد الناس خلط القمح وقت طحنهِ بحبوب اخرى كالذرة على انواعها والشعير والفول او يكثروا من اكل هذه الحبوب واكل الفول وكسب بزر الكتان وكسب الفول السوداني بدل القمح اذ يحتمل ان الاراضي الصالحة لزرع القمح اذا زرعت كلها لا تكفي لمقطوعية كل نوع الانسان في المستقبل

كيف ينقل الطاعون البقري في السودان

نشرت جريدتنا السودان الصادرة في ٨ اغسطس الرسالة التالية لمكاتبها من مروي في مديرية دنقلة قال فيها : —

بعد ان خفت عندنا وطأة الطاعون البقري عادت فزادت هذه الايام ولاسيما في جهة تنجاسي الزويس وسعر بت والكروى ونوري واسلي

وقد اكتشف حضرة الملازم الاول محمود افندي صدقي الطبيب البيطري ان سريان الوباء من جهة الى اخرى وانتشاره انما يتم بواسطة الحمير وانها تحمل جراثيم الوباء فان الطاعون البقري انتشر في بلدة تنجاسي في بادىء الامر دون ان تصاب بلدة الدبيبة لعدم وجود حمير فيها الأَ انهُ منذ مدة توجه احد اهالي تنجاسي الى الدبيبة راكبًا حماراً فلم تمضِ ثلاثة ايام على ذهابهِ الى تلك البلدة حتى ظهر الطاعون فيها فاصيبت ابقار خمس سواقٍ من الجهة البحرية وخمس في الجهة القبلية

جمعيات التعاون الزراعي في الهند

اقرَّت حكومة الهند على انشاء هذه الجمعيات منذ اثنتي عشرة سنة فتألفت ونجحت في غضونها نجاحًا كبيراً . وقد جاء في التقرير الذي صدر حديثًا عن سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ ان عدد هذه الجمعيات بلغ ١٩٦٧٥ وعدد اعضائها ٩١٨ ٤٣٦ ورأس مالها الذي تشتغل بهِ ٦ ٨٨٤ ٠٠٠ جنيه ومن ذلك مبلغ ١٠٧٠٠٠ جنيه من الحكومة . وكان عدد هذه الجمعيات في العام السابق ١٧٣٢٧ وعدد اعضائها ٨٢٤ ٤٦٩ و رأس مالها ٥ ٩٢٧ ٠٠٠ جنيه . واكثر هذه الجمعيات في البنجاب فان فيها ٣٣٩٣ جمعية عدد اعضائها ١٤٨ ٠٤٣ ورأس مالها ١ ٣٧١ ٠٠٠ جنيه

وقد جاءت التفاصيل عن ١٧ ٧٢٩ جمعية رأس مالها الذي تشتغل بهِ ٣ ٤٤٠ ٠٠٠ مع ان رأس مالها الحقيقي ٥١٠٠٠٠ جنيه ومالها الاحتياطي ٤٠٢ ٠٠٠ والباقي اكثره اموال اقترضتها من البنوك وأَقرضتها لاعضائها وقد بلغ صافي ربحها في السنة الماضية ١٣٢ ٠٠٠ جنيه . وهي تستدين الاموال بفائدة ٦ الى ٩ في المئة وتدينها لاعضائها بفائدة ٩ الى $12\frac{1}{2}$ في المئة . مع ان الفلاح مهما كانت احوالهُ حسنة لا يستطيع ان يستدين هناك باقل من ٢٠ في المئة

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

النهاية

وقفت كليوبطرة تنظر مرقس انطونيوس يحارب اكتافيوس وخافت الهزيمة فعزمت على الانتحار وهالها ان تموت وحيدة فارسلت الى مرقس انطونيوس تخبرهُ بموتها فبكى وطعن نفسهُ بخنجرهِ ومات شهيد غرامهِ فلما وافاها خبر انتحارهِ اسلمت نفسها للثعبان وماتت قبل ان يأسرها اكتافيوس

يا ظلامَ النفس رفقاً بالأُلى ظلم الدهرُ وقدماً ظلموا
رقدوا في ساحة الهم وقد كانت الدنيا لهم تبتسمُ
قد طوى الدهرُ سماءً لمعت لَهُمُ من قبلُ فيها انجمُ
جفَّت الخمرُ ففي الكأس دمٌ وكذا الدنيا خمورٌ فدمُ
نكَّسوا الطرف وقد لاحت لهم صورٌ عن سعدهم تزدحمُ
ندموا عما جنت ايديهمُ حيث لا ينفع يوماً ندمُ
فهو كالليث يبكي يائساً وحرامٌ ان يضامَ الضيغمُ
انما الدمع لسان ناطق يتولى قلبَ من لا يرحمُ
غير ان الدهر سيفٌ حدهُ قاطع فيهِ القضاء المبرمُ

***

وقفت في ساحة القصر وقد وقفت فيهِ قديماً تظلمُ
ترسل الدمع على الخد دماً والأسى في رأسها يلتطمُ
لا ترى في يومها السعد وقد حجب السعدَ غمامٌ مرزمُ

فاذا الصبح اتاها ضاحكاً هالها منهُ سوادٌ اقتمُ
واذا الزهرُ رنا مبتسماً وجدت في الزهر ناراً تضرمُ
تسمعُ الجيش يلبي ربهُ ليس في الجيش اصمّ ابكمُ
كل مغوارٍ يرى الروح فدًى لبلادٍ في حماها يكرَمُ
وترى الاعداء هبُّوا للوغى وعلى النصرِ جميعاً اقسموا
زُمرٌ ماجت كبحرٍ مزبد قادها مَن للردى يقتحمُ
اسد لا يرهبُ الموت وهل يرهب الموتَ الجريُّ المقدمُ
فكأن الارض ميدَانٌ بهِ كل حي ثائرٌ منتقمُ
خافت المقبي وما الخوف سوى صارمٌ يقطر منـهُ الالمُ
هي بين النصر والأسر غدت شبحاً قد غابَ عنهُ الكلمُ
اسلمت للشك قلباً هالعاً فهو من اظفارهِ لا يسلمُ
وازدرت هول الردى قائلة كل عيشٍ بالردي يختتمُ

***

كان انطنيوس صباً مغرماً فانقضى الحبُ ومات المغرمُ
مات والآلامُ تستهدفـهُ والأسى يلهو بهِ والتُّهمُ
مات مكلومَ الحشا منتحراً ناقماً طوراً وطوراً يندمُ
هو والخنجرُ في احشائهِ شبحٌ لليأسِ يعلوهُ الدَّمُ
جاءهُ نعي التي فارقها حية يسمي اليها الكرمُ
لم تكن ماتتْ ولكن هالها موتها والصب حيٌّ ينعمُ
اينَ من ضحَّى لها اوطانهُ لم يعض القلبَ منهُ الندمُ
طائعاً للحب لا يرعى سوى عهدهِ ذاك الاثيمُ المجرمُ
خان روما مستبداً ناسياً ان ركن الحق لا ينهدمُ

***

كيف تحيا ربة الحسن وقـد مات من كانت بهِ تعتصمُ
عقها الاعوانُ في نكبتها مثلاً للغـدرِ يا ويحهمُ
ليس في الدنيا وفيٌّ صادقٌ فهمُ ان ماتت الدنيا همُ
ابه كليوبطرةُ اليوم انقضت عنك آمالٌ وزالت انمُ

انت في القصرِ خيالٌ زائلٌ وهو في العين مخيفٌ مظلمُ
أَنت والارقمُ يرنو جائعاً حيةٌ يرنو اليها ارقمُ
لا تظني انَّ في حسنك ما يسجد الليث لهُ يسترحمُ
ان اكتاف جريءٍ قادرٌ ولهُ النيل ومصرٌ مغنمُ
وجمال العهرِ ماضٍ ذاهبٌ وجمال الطهرِ لا ينعدمُ
وابتداء الحي منَّا عدمٌ وختامُ الحي منا عَدَمُ

محمد تيمور

دار السلام

دار السلام وقبّة الاسلامِ دارت عليك حوادث الايامِ
فسقطت من ايدٍ مخربةٍ الى ايد معمرةٍ لكل رمام
ايدٍ تحثك للترقي والعلى وحياة الاستقلال والاقدامِ
ونجوت من شرك الجناكرة الالى ظلموا وما عرفوا برعي ذمام
لا تجزعي بغداد إمّا قيل عنـ ـكِ سقطتِ بعد معارك وصدام
فلربما سقطت فرائد غادة ثم ارتقت للجيد بعد نظامِ
وتقلّب الحدثانِ انفع موقظٍ للناس من سنةٍ بهم وسئام

عهود هارون

هل تذكرين عهود هارون وما أَسداك من شرف ومن اعظام
ام تذكرين ايادي المأمون اذ أَحيا بربْعك دولة الاقلامِ
وأَقام للزوراء مجداً خالداً بخوالد الآثار والآطام
فبلغت من درك الحضارة غاية اعيت مداركها على الافهامِ
ايامَ كنتِ على البلاد مليكةً امَّارة بالنقض والابرام
ايامَ تحيين العقولَ وتحكميـ ـن بها على الارواح والاجسام
ايام مدرسة النظام[1] وشيخها محيي العلوم وصاحب الإلجام

(١) هي المدرسة النظامية والجامعة العربية الخالدة الذكر والتي كان من اساتذتها الفيلسوف العربي الكبير صاحب احياء علوم الدين والجام العوام وهو الامام الحجة الغزالي

لهفي على تيك المدارس وهي بالـ … علماء قد غصت وبالاعلام
أمست دوارس ما بها من دارسٍ … او باحث متتبعٍ فهّامِ
او شاعرٍ يحكي الرضيَّ بشعرهِ … او ناثر كابن العميد امامِ
اخني على بغداد شعب خرّبوا … صرح العلوم وقبة الاسلام
بغداد قد فتح الطريق ولم تعد … تلك العقاب ونلتِ كل مرام
لاعذر بعد اليوم ان لا ترجعي … مجد الجدود وعزّك المتسامي
بغداد جدي للعلى او تضربي … اسمى قبابٍ للعلى وخيام

السؤال

اين الرصافة وهي زاهرة وبا … سمة بوجه زمانها البسّامِ
ام اين جسركِ اذ تهادى فوقهُ … عين المهى واوانس الآرامِ
ام اين ذاك الكرخ ام اقمارهُ … محقت بخسف الظلم بعد تمامِ
ام نهر عيسى [1] العذب ام جناتهُ … ام قصرهُ الموفي على الاعلامِ
ام نهر طابق والمعلّى والرُّفيـ … ـل عفت مجاريها وهن طوامي
ام سائر الانهار وهي غزيرة … فكانها ظمأى بشهر صيامِ
ام اين يا بغداد بركة زلزلٍ [2] … أغدتْ حقيقتها من الاوهامِ

جواب بغداد

فسمعت همساً خافياً وكانها … بغداد قالت لي بغير كلامِ
افتى الشآم اثرت اشجاني لما … ذكرتني بالبيض من ايامي
هوّن وان تنصف فقومك أجرموا … فعددت ظلماً ذاك من اجرامي
تخذوا الغريب الاجنبي بطانة … في الجيش والاموال والاحكامِ
وجفوا بنيَّ تسامحاً فلذاك ضا … عَ العربُ بين الترك والاعجامِ
كم نلت من ذين العدوّين الاذى … بل كم بكيت اسىً بدمع هامِ
يا نسل جنكيز وهولاكو الاولى … جنحوا الى بوزقورد [3] لا الاسلامِ

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ونهرهُ كان تحت الجنات جارياً واليهِ ينسب اول قصر بناهُ الهاشميون في بغداد ايام المنصور (٢) بناها في بغداد رجل يقال لهُ زلزل ضرب بهِ المثل في ضرب العود ايام المهدي والهادي وهارون (٣) صنم كان الاتراك يعكفون عليهِ في جاهليتهم الطورانية نقام اليوم دعاة العصبية التركية يعظمونهُ و يدعون اليهِ و ينظمون القصائد في تقديسهِ

هل تحسبون نسيت ماضي جوركم وفعالكم يا افظعَ الاقوامِ
او ما حملتْ من البلاء وانهُ لتكل عنهُ كواهل الاهرامِ
كلاّ ورب الراقصات الى منى والعرب في عرفاتَ بالاحرامِ
يا ترك لا ينسي الاذى والظلم ما صبّ الاذى الا على الظُلاَّمِ
او استمُ احفاد هولاكو الذي قـد دكّ اعلامي ودق عظامي
وفدحتمُ شعب النبي مظالماً فاضطرّ يوماً لامتشاق حسامِ
وأجاره ُ ابن محمد بقيامهِ لله لا لعلّي ولا لحطامِ
وهو الامام المجتبي من كان ينـ صحكم ويدفع عنكم ويحامي
لم تستبينوا نصحهُ الأَ ضحى ألـ غدِ بعد ضرب النار والالغامِ

الدين النصيحة

ان تسمعوا مني النصيحة فارجعوا للصين قبل قيادكم بخطامِ
هي دار جنكيز وهولاكو معاً ومواطن الاخوال والاعمامِ
قـد طهَّر الله العراق بطردكم عنهُ فليس لكم بدار مقامِ
واذاقكم « مود » الردى ففررتم جبناء والجبناء غير كرامِ
فعسى النَبيْ ينتضي هنديّهُ فيعيد للماضي ربوع الشامِ

عز الدين آل علم الدين

البيراميدون والحميات

نشرت المجلة الطبية والمصرية بعدد شهر مايو سنة ١٩١٧ مقالة في علم الركه قالت فيها « ان استعمال البيراميدون وما شاكلهُ من مخفضات الحرارة مضعف للقلب ولا فائدة منهُ بل بالعكس ازدادت مدة سير الحمى عند كل مريض اعطي لهُ وكان ارتفاعها اعلى مما لو ترك المريض بغير هذه الادوية. وكثيراً ما اوقف اعطائها وكان ذلك سبباً في انقطاع الحمى»

ولما كانت المشاهدات الاكلينكية وآراء الاطباء المشتغلين بفن العلاج الطبي لا تطابق ما جاء في هذه المقالة عن البيراميدون جئت بهذا المقال ردّاً على ذلك فاقول :

من المعلوم انهُ اذا كان المرض يدافع دفاعاً شديداً عن حرارتهِ كما يتضح من قلة هبوطها عند استعمال طريقة العلاج بالماء المعروفة والصعود السريع على اثر ذلك فهو دليل على ان العلاج بهذه الطريقة فقط لم يأت بالفائدة المطلوبة لانهُ لم يؤثر التأثير الكافي في

الحمى الشديدة و يكون التحسن حينئذٍ وقتياً و يظل خطر الحرارة الشديدة باقياً . فعدم التمكن من تخفيض الحرارة بواسطة العلاج بالماء يدل غالباً ان الانذار خطر . ومن المعلوم ايضاً ان الارتفاع الشديد في الحميات ناتج على العموم عن توكسين الحمى وهو اهم سبب لضعف عضلات القلب ولما كان العلاج بالماء في مثل هذه الاحوال لا يؤثر التأثير الكافي ودفعاً لخطر سوء التأثير في القلب رأى اكثر الاطباء ان يستعملوا ادوية تعين على تخفيض الحرارة تلافياً لهذا الضرر

وقد جربت عقاقير كثيرة مختلفة لهذه الغاية كالكينا والاسبيرين والكروجينين واللاكتوفينين والانتبرين والبيراميدون وغيرها ولكن كان لمعظمها موانع تحول دون اعطائها . ولكن لوحظ ان استعمال البيراميدون بمقادير صغيرة لا تأثير لهُ في عضلات القلب بل هو ذو نتيجة حسنة جداً اذ يعين على تخفيض الحرارة الشديدة وهو الجوهر الوحيد المأمون العاقبة من بين جميع الجواهر الاخرى التي من هذا القبيل . فقد جاء في كتاب فن العلاج تأليف البير روبين Albert Robin ما ترجمتهُ « ان البيراميدون يمتص ويفرز بسرعة زائدة و ينشط التغييرات الكيماوية العضوية ويزيد الاحتراق العضوي وفعلهُ في المجموع العصبي بطيء ومنتظم وهو غير سام الاَّ بمقادير كبيرة ويمتاز ايضاً بان ليس لهُ تأثير سيء في القلب والدورة الدموية ثم انهُ مخفض للحرارة الشديدة استعمالهُ مفيد في الانفلونزا والروماتيزم الحاد والتدرن والتيفوس والتيفويد والالتهاب الرئوي والحمرة » الخ

وممن اشار ايضاً باستعمالهِ مورتس وجاكوب ونوبيكور في كتاب فن علاج الامراض المعدية Moritz, Jacob, et Nobecourt Théropeut que des Maladies Infectieuse

وقد شاهدت استعمال البيراميدون مدة ثلاث سنوات حين وجودي بمستشفى الحميات بالقاهرة حيث عولج في هذه المدة عدد لا يقل عن عشرة آلاف مريض ولم اشاهد ادنى خطر من اعطائهِ . والطريقة المتبعة هي ان يعطى منهُ عشرة سنتيجرامات كل ساعتين للمريض البالغ وذلك لا يمنع من استعمال المنبهات كالحقن بزيت الكافور والكونياك والشمبانيا وغيرها عند الضرورة . ولما كان من المعرقات ايضاً فيستعمل بدلاً من كافورات البيراميدون في احوال حمى التدرن لتخفيض الحرارة ومنع العرق ايضاً

اما القول ان كل مريض اعطيَ البيراميدون طالت مدة الحمى معهُ وكان ارتفاعها اعلى مما لو ترك من غير هذا الدواء فانهُ لا ينطبق على المشاهدات الطبية ولا على آراء

مشاهير الاطباء. ومثلهُ القول ايضاً ان الحمى انقطعت عند ايقاف اعطاء البيراميدون فيظهر ان ذلك كان في الاسبوع الاخير للحمى عند انتهاء سيرها

يستنتج مما تقدم ان استعمال البيراميدون بمقدار قليل قانوني ضروري في الاحوال التي لا تنخفض فيها الحرارة انخفاضاً كافياً بطريقة العلاج بالماء المعروفة. وليس منهُ ضرر البتة على القلب بل ان منافعهُ عظيمة كما قرر مشاهير اطباء فن العلاج وكما شاهدتهُ بنفسي في مستشفى الحميات في حوادث كثيرة

الدكتور فيتالي

مفتش صحة قسم عابدين

وطبيب بمستشفى الحميات سابقاً

جبور الطبيب

حدثني شيخ جليل القدر قال: عندنا في الوطن طائفة كبيرة من الكتب الخطية النادرة الوجود القديمة العهد كان يورثها الاباء الى الابناء من اسرتنا و يوصوننا بالاحتفاظ بها. و بعض هذه الكتب طبية كان افراد العائلة يقرأونها و يطببون اهالي بلدنا (اهمج) وما جاورها بما عرفوهُ من هذه الكتب. واتفق ان احد افراد العائلة وهو ابن اخي درس الكتب الطبية الموجودة عندنا وشاء ان يحصل على شهادة من المدرسة الكلية تخولهُ ان يتعاطى مهنة صيدلي. فجاء بيروت ولما مثل امام الدكتور كيك احد اساتذة الكلية اخذ الدكتور يسألهُ عن بعض الاعشاب وما ينسب اليها من الادوية فكان التلميذ يجيبهُ عن اسماء الاعشاب وخواصها باسماء عديدة منها ما هو معروف عند الدكتور ومنها ما هو غير معروف. فدهش الدكتور وقال لهُ من اين عرفت هذه الاسماء. قال من كتاب جبور الطبيب الموجود عندنا وهو مصور بهِ الاعشاب وخواصها واسماؤُها العديدة. فطلب الدكتور منهُ ان يأتي بالكتاب الى المدرسة الكلية. فاجاب ان ليس بالامكان ذلك لان عائلتنا لا تسمح بهِ فاذا سلم بهِ واحد لا يوافقهُ الباقون. ثم عزم الدكتور كيك ان يذهب بنفسهِ ليرى الكتاب فسافر مع التلميذ الى بلدنا اهمج (موطن التلميذ) لكن سفر الدكتور كان بدون جدوى لاننا قلنا لهُ ان الكتاب فقد منا (والحقيقة موجود عندنا ولا يمكن التسليم بهِ) فتأسف الدكتور على فقدهِ وقفل راجعاً. انتهى. فمن هو جبور الطبيب وما هي مؤلفاتهُ وهل يوجد منها شيء مطبوع

جونداياهي (البرازيل) حسيب ابو خلف

[المقتطف] سمعنا عن جبور الطبيب في السنين الاولى من صدور المقتطف . والراسخ في ذهننا انهُ كان مثل كثيرين من الاطباء القدماء الذين لم يدرسوا العلوم الطبيَّة درساً قانونيًّا بل اعتمدوا على ما وقع في يدهم من الكتب الطبية قديمة كانت او حديثة مع شيء من الحذر . ولا ينتظر ان كل مرض ينتهي بالموت ولولم يعالج فاذا انتهى بالشفاء كما ينتهي كثير من الامراض نسب شفاؤهُ الى العلاج وقد لا يكون العلاج مما ينفع ولا مما يضر

اما كتاب النباتات المصور فيحتمل ان يكون ما قيل عنهُ صحيحاً لان ابن البيطار صاحب كتاب المفردات الطبيَّة يقال عنهُ انهُ رأى بعض النباتات التي كتب عنها وصورها. وقد شاهدنا في صبانا كتاب نباتات عربيًّا مصوراً وفيهِ فوائد تلك النباتات الطبيَّة . ولو عُني احد بدرس كتاب تقويم الابدان الذي ذكرناهُ في باب التقاريظ في هذا الجزء وعمل بهِ لافاد في معالجة كثير من الامراض . وبمثل ذلك كان الاطباء الاقدمون يعالجون امراضاً كثيرة ويشفونها . ولا نعلم ما هي مؤلفات جبور الطبيب

اغاثة الفقير

حضرة الفاضل محرر مجلة المقتطف

اطلعت على نبذة في المقطم موضوعها اغيثوا الفقير واكسبوا الاجر . فخطر على بالي اني لما كنت مقيمًا بمدينة شيكاغو بالولايات المتحدة بين سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ لقيت المستر وليم هفان العالم الفيلسوف الطبيعي فسألتهُ عن حقيقة فهمهِ لصفات الطبيعة وهل هي كما يقول بعضهم عمياء صماء او كما يقول غيرهم حكيمة رشيدة . فقال وهل يعقل ان الغارس لبزور الارتقاء وبقاء الاصلح في الخليقة يكون اعمى واصم . ان العمى والصمم لا يمكن ان يكونا من شأن واضع اساس العلم لان ناموس الارتقاء وبقاء الاصلح الذي غرستهُ الطبيعة في الخليقة هو بالطبع اساس العلم . وما العمى والصمم الاَّ من صفات عقولنا القاصرة عن فهم مغزى الطبيعة . مثال ذلك ان الغني يشفق على الفقير ويتصدَّق عليهِ مع انهُ لو تركهُ لنفسهِ لاضطرتهُ الحاجة الى السعي والجد والنجاح لان الحاجة تفتق الحيلة او لزال من امام من هو اصلح منهُ للبقاء . ففي اشفاقنا عليهِ نقاوم الناموس الطبيعي

دمياط احد القراء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام اللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ماذا نأكل

لم يختلف الناس على مسئلة اختلافهم على نوع الطعام الذي يؤكل ومقدارهِ وما يكفي الجسم منهُ وما يلائمهُ وما لا يلائمهُ . فلذلك انقسموا من هذا القبيل فرقاً واشياعاً نذكر البعض منها على سبيل التفكهة والفائدة

فمن هذه الفرق النباتيون وهم القائلون بان يقتصر المرء على اكل المواد النباتية ويمتنع عن اكل الحيوانية . وقد تفرع عن هذه الفرقة شعبتان الواحدة تقول بتحليل البيض واللبن من المواد الحيوانية دون غيرهما . والثانية تتابعها عليهما وتضيف السمك اليهما

ومنها فرقة اللاَّبروتيين وهي التي لا تعنى بنوع ما يؤكل من الطعام بل بمقدارهِ وعنايتها مقتصرة على مقدار البروتيين الذي يجب ان يكون في الطعام . وعندها انهُ كلما قلَّ الانسان منهُ سواءٌ كان مصدرهُ حيوانيًّا ام نباتيًّا كان ذلك خيراً لهُ . لذلك يحرمون السمك واللحم واللبن والبيض والجبن والقطاني من فول ولوبياء وعدس ويحللون شرب الدخان والخمر . وبتحريم هذه المواد وجدوا انفسهم ضمن دائرة ضيقة جدًّا فبينا كان همهم بادئ بدءٍ مقدار البروتيين الذي يجوز ان يؤكل رأَوا في آخر الامر ان الحصر حصر في الكمّ والكيف معًا بل ان التضييق عليهم اشدّ في الوان الاطعمة التي يشتهونها منهُ في مقاديرها

ومنها فرقة اللاَّيوريك وهي فرقة راعها الحامض اليوريك (او البوليك) في البدن وخوف عواقبهِ فحرمت كلّ ما خيّل اليها انهُ يجلبهُ او يحتوي على شيءٍ منهُ كالسمك وسائر اللحوم والقطاني والشاي والقهوة والمرق على انواعهِ والخبز الاسمر وبعض الخضر كالمليون والفطر . ولكن اتباع هذه الفرقة يأكلون ما شاؤُوا من المواد النشوية والدهنية على ما في الاكثار منها من الاضرار الكثيرة كما هو مشهور طبًّا

وقامت فرقة من الغلاة تحرّم اللبن وهو ابسط الاطعمة واسهلها هضماً واقلها ضرراً بانية حرمها على كون مقدار ما يحويهِ من الجير مضرًّا بالجسم

وغلت فرقة مثلها فحرّمت اكل كل ملح من الاملاح حتى ايّ لون من الوان الطعام يحوي شيئاً من الملح العادي ولو كان الطعام في الغاية من الجودة · يقابلها من جهة اخرى الفرقة التي تقول ان الاستحمام بماء البحر الملح هو الشافي لمعظم الاسقام التي تصيب الناس

وربما كان اكثر غلواً من هذه الفرقة او تلك مَن يحرّم شرب اية السوائل على الاطلاق وفي جملتها الماء سواء كان ذلك مع الطعام او قبلهُ او بعدهُ · واذا اعتدل وتساهل سمح بشرب شيء قليل من السوائل ولكن في غير اوقات الطعام

وهناك فرقة تنهى عن كل طعام مختمر وتجيز كل طعام مطبوخ · واخرى تقول باكل كل طعام نيئاً لم يطبخ على نار ولكنها حرصاً على قابلية انصارها ان تفقد تجيز طبخ الطعام النيء بعض الشيء على اشعة الحرارة الكهربائية فيصير امرأ في افواه آكليهِ

وقامت فرقة بحرب عوان على اللبن الرائب فالتفّ حولها كثيرون من انصارها وقلّ انصار اللبن الرائب وكان متشنيكوف زعيمهم كما يعلم القراء ورأيهُ فيهِ مشهور فلا نعيدهُ هنا

ونشأت فرقة لا تهتمُّ اقل اهتمام بكمّ الطعام ولا كيفهِ وانما تحصر اهتمامها بطريقة اكلهِ وخلاصتها مضغ كل طعام مضغاً جيداً قبل ازدرادهِ · واتباعها كلّ يوم في ازدياد · وربما كانت ارشد هذه الفرق واهداها الي الصواب

ونختم بذكر فرقتين غريبتين ولكنهما شائعتان في كل مكان واتباعهما كثار · الواحدة فرقة تستغني عن طعام الصباح بدعوى انّ العقل والجسم اقدر على العمل والمعدة فارغة صباحاً منهما والمعدة ملآنة · وفرقة تقول بالصيام والاقتصار على العشاء او الغداء كبعض قبائل البدو

والغالب ان ما اعتاد الانسان هو الاصلح لهُ وما اعتاد سكان بلاد هو الاصلح لهم واذا ابدلوهُ بغيرهِ تعبوا ولو في اول الامر · وهذا يعلمهُ كل احد باختبارهِ

غرائب الامزجة والاذواق

جاء في بعض امثال الغرب « طعام رجل سمٌّ آخر » · ولا ادلّ على صحة هذا المثل من الشواهد الآتية :

في الناس قوم اذا اكلوا شيئاً من الفروله ظهر عليهم طفح جلديٌّ لا يزول حتى يضايقهم مضايقة شديدة

ومنهم من اذا اكل العسل اصيب بالقيء والاسهال حتى لقد حكي عن واحد اصيب بهذين العرضين من وضع لزقة عسل على جلده

ومن الناس من لا يذوق اللحم بتاتًا فاذا اكلهُ اورثهُ قيئًا شديدًا

وكذلك منهم من يصاب بقيء ودوار من اكل شيء من السكر

وذكروا عائلة كانت تظهر على الذكور منها اعراض السمّ على اثر اكل شيء من الفروله . اما الاناث فلم يكنّ يشعرن بشيء من هذه الاعراض . واعجب من هذا كلهِ ان غلامًا من غلمانها مات من اكل حبة واحدة من هذا الثمر

ومن المشهور عن الخلّ طبًّا انهُ قابض قاطع للدم ولكنهُ سبّب نزيفًا لبعض المرضى

وحكوا عن رجل كان لا يذوق القهوة الاَّ اعتراهُ القيء . وعن آخر كان يصاب بنوب عصبية وقيء من اكل التفاح

وذكر السر مورل مكنزي قصة رجل كان اكل البيض يفعل فيهِ فعل السحر ولو بمقدار قليل وانهُ ورث هذا الطبع عن اهلهِ حتى الجيل الرابع قبلهُ . وضعوا لهُ مرة شيئًا من البيض في القهوة ولم يكن يعلم ذلك فجحظت عيناهُ واحمرّ وجههُ وانقبض حلقهُ واشتد بهِ الالم كمن اصيب بالصرع

ونحن نعرف رجلاً من اعيان هذه العاصمة اذا وضع في طعامهِ شيء من البيض شعر بهِ مهما كان قليلاً واعتراهُ ألم شديد

ونعرف آخر كان يصاب بالقيء اذا اكل شيئًا من الفاصوليا اوشمّ رائحتها ثم زال منهُ ذلك وهو الآن يأكلها كما يأكل غيرها . وسيدة اصيبت مرةً بطفح شديد من اكل المقانق والذين اكلوا معها لم يصابوا بشيء

وحكي عن آخر انهُ كان يصاب بالمغص وورم الحلق واللسان والشفتين وازرقاق الوجه من اكل شيء من البقدونس

وعن آخر انهُ كان اذا اكل الرز في شكل من الاشكال يشعر بضيق في الصدر وبأزما شديدة . اكل مرة شيئًا من الخبز والجبن وشرب شيئًا من البيرة . فلم يمضِ الاَّ القليل حتى اخذتهُ اعراض التسمم بالرز . وظهر فيما بعد انهُ وضع في زجاجات البيرا التي شربها بعض حبات من الرز لزيادة الاختمار

ومن الناس من اذا اكل التين شعر باكلان في فيهِ وبلعومهِ . ومن اذا اكل لحم العجل اعتراهُ طفح جلدي . او شكولاته توالى عليهِ العطاس

على ان اغرب الامزجة مزاج رجل عاش في اواخر القرن الثامن عشر . كان اذا اكل خبز قمح يصاب باعراض تسمم شديدة و بقيء اشد مما يصيبهُ من تناول احد المقيئات . ثم يصاب باكلان كثير في سطح جلدهِ وبمغص ويزداد الاكلان مدة يومين ثم يخف حتى ينقطع بعد مرور عشرة ايام من اكل الخبز . وكان يصحب هذا الاكلان سعال قوي وبصق كثير من البلغم كأنهُ في درجات السل الاخيرة . وكانت تصيبهُ هذه الاعراض كلها من شم رائحة الدقيق ولكن على درجة اخف

معاش الامهات

افضل اساليب الاحسان

في هذه العاصمة جمعية اسرائيلية تنفق اموالها على الفقيرات وهنَّ في حال النفاس . وطالما اعجبنا بهذا العمل الجليل النافع الذي اذا عدَّت اعمال البر والاحسان كان في المقام الاول . ولا ندري هل هو استنباط شرقي ظهر في عاصمة الديار المصرية اول مرة او ان الذين عملوا بهِ هنا اقتبسوهُ من جمعيات تعمل بهِ في اوربا

وسواء كان هذا العمل اصلاً او فرعاً فقد نشأ عمل يشبههُ في اميركا منذ ست سنوات فقط لكنهُ اوسع نطاقاً منهُ واعم فائدة ومنشئهُ القاضي هنري نيل من اهالي شيكاغو

قال واصفاً كيف اهتدى اليهِ : رأيت ذات يوم من ربيع سنة ١٩١١ ان محاكم الصغار تأمر باخذ الاطفال من امهاتهم اذا كنَّ فقيرات جداً لا يستطعن اعالة اطفالهنَّ . فقلت للذين كنت اكلمهم في هذا الموضوع وماذا تفعلون بهؤلاء الاطفال . فقالوا نرسلهم الى معاهد تربية الاطفال وهي معاهد احسان تعول الاطفال مجاناً

فقلت من يدفع نفقات هؤلاء الاطفال بعد ان يؤخذوا من امهاتهم

فقالوا ان الحكومة المحلية تدفع الى هذه المعاهد عشرة ريالات في الشهر عن كل طفل

فقلت ولماذا لا تدفع هذه العشرة الريالات الى ام الطفل وتبقيهِ معها تعتني بهِ

والظاهر انهُ ما من احد خطر على بالهِ ان يسأل هذا السؤال قبلي . وللحال اهتممت بتغيير القانون القاضي بدخول بيوت الفقراء واخذ الاطفال من احضان امهاتهم لكي يربوا في معاهد كالسجون

وفي شهر يوليو من تلك السنة تمكنت من جعل ولاية الينويز تغير قانونها المختص

بالاطفال فتسمح للنساء البائسات ان يبقين اطفالهنَّ في بيوتهنَّ وحكومة الولاية تدفع لهنَّ ما يكفي لنفقاتهم

فأبدل قانون سلب الاطفال من احضان امهاتهم البائسات بقانون اعطاء المعاش الكافي لهؤُلاء الامهات . وما من احد يستطيع ان يعتني بالطفل كامهِ . ومهما كان المعهد الذي يربَّى فيهِ الطفل حسن النظام لا يبعد عن ان يكون سجنًا للطفل تعدم فيهِ حريتهُ وشخصيتهُ فينشأُ ضعيفًا جسداً وعقلاً شاعراً انهُ ربي على الاحسان في ملاجئ اللقطاء

يقال ان الحكومة وُجدت لاجل سعادة الامة . ولكن الامَّة مؤَلفة من البيوت (العيال) فيستحيل ان تقوم سعادتها بخراب بعض بيوتها . واي خراب اشد من ان يؤْخذ من البيت اولادهُ

ولم يكد هذا القانون قانون اعطاء المعاش للامهات الفقيرات يسنُّ في ولاية الينويز حتى اقتدى بها غيرها من الولايات وصار الناس يتعجبون كيف لم ينتبهوا لذلك قبلاً

وللمسألة وجه آخر غير وجه البر والاحسان وهو وجه حصول النفع الاكبر من انفاق المال . مثال ذلك ان مدينة نيو يورك انفقت في العام الماضي على ملاجئ الاطفال سبعة ملايين ريال وكان في هذه الملاجئ ٢٢٠٠٠ طفل واعطت معاشاً لامهات مئة الف طفل ولم يبلغ مجموع ما اعطتهنَّ سوى عشرة ملايين ريال . اي ان الطفل في الملاجئ كلف مدينة نيويورك ٣١٨ ريالاً في السنة وفي بيت امهِ كلفها ١٠٠ ريال فقط وكانت هذه النفقة لهُ ولامهِ وما ذلك الاَّ لان ٧٦ في المئة من النفقة في الملاجئ تذهب للادارة لا للاطفال واما في معاشات الامهات فلا يذهب منها للادارة سوى خمسة في المئة

وقد ثبت بالاحصاء في محاكم الصغار ان جرائم الذين يربون في بيوتهم اقل جدًّا من جرائم الذين يربون في الملاجئ وتبلغ القلة ٩٨ في المئة هذا فضلاً عن ان الذين يربون في الملاجئ ينشأُون عالةً على غيرهم ولا يعتمدون على انفسهم . والبلاد تئن من الذين ينشأُون عالةً عليها وقد انفقت عليهم في العام الماضي ٨٠٠ مليون ريال مع انها لم تنفق على المدارس وكل معاهد التعليم سوى ٧٥٠ مليون ريال

ولقد لقي مشروع اعطاء المعاش للامهات اشد المقاومة من اصحاب المعاهد الخيرية لان رجال هذه المعاهد ينفقون على انفسهم اكثر الاموال التي يجمعونها لاعمال البر رواتب ومصاريف اخرى . فتراهم يسكنون الدور الفاخرة ويركبون الاتوموبيلات الثمينة ولكن مقاومتهم هذه كان لها اليد الطولى في جعل الجمهور يقبل على معاشات الامهات لانهم

رأوا ان كل ريال يدفعونهُ يذهب الى والدة مسكينة تعيش بهِ هي وطفلها لا الى جمعيات تنفق اكثر دخلها اجوراً لمستخدميها وثمن اثاث ورياش لمكاتبها فجادوا بالمال للوالدات عن طيب نفس

وزد على ذلك ان المنوط بهم توزيع المعاشات على الوالدات يرسلون الى كل والدة مكتوباً يقال فيهِ « ان هذا المال قطعناهُ لكِ مشاهرةً ليس احساناً منا بل هو حق شرعي لكِ حسب قوانين البلاد » . فتشعر الوالدة انها خدمت بلادها بولادة ولدها فكافأتها بهذا المعاش وانها لا تزال تخدم بلادها بتربية طفلها لان هذا الطفل للبلاد كما هو لها فتربيهِ وتعتني بهِ مدفوعةً الى ذلك بمحبتها الوالدية و بشكرها لبلادها

وما جرى في امر الاطفال هو نفس ما جرى في امر التعليم العمومي المجاني فانهُ كان اولاً يُنفَق عليهِ من الجمعيات الخيرية فلا يرغب فيهِ الاَّ الفقراء المعوزون و يظهر لهم كانهُ خاص بالمساكين . ثم تناولتهُ الحكومة واشركت الجميع فيهِ اغنياء وفقراء فزالت عنهُ معرَّة الفقر وصار التلاميذ يحسبون ان الحكومة تنفق عليهم لا على سبيل الاحسان بل لانها مضطرة الى ذلك بقوانين البلاد وانها تنفق ليس من مال الاحسان بل من مال الامَّة لتعليم اولاد الامَّة

والاسلوب الذي جربنا عليهِ الآن لاعالة اطفال الفقراء على نفقة الامة كبَّر نفوس هؤلاء الفقراء وجعلهم يعتقدون ان الاموال التي ينقدونها كل شهر هي حق لهم على البلاد لا صدقة يتَصدَّق بها عليهم بعض المحسنين . ونشأ اولادهم شاعرين انهم لم يربوا في بيوت اللقطاء والمعوزين بل في بيوت آبائهم مثل غيرهم من اولاد الامَّة وان كانوا قد أُنفق على تربيتهم من اموال الامَّة فذلك لان الامَّة ادركت ان ذلك واجب عليها لقاء ما تتحملهُ الامهات من الآلام والاوجاع والاتعاب في ولادة الاولاد للامة وتربيتهم و بذلك علا شأن الزواج وولادة الاولاد لانهما صارا خدمةً عمومية لمصلحة الامَّة

هذه خلاصة المقالة التي كتبها القاضي نيال مبتدع هذا المشروع المفيد . ولا يخفى ان العمل بهِ سهل في بلاد كاميركا تكون الامهات فيها متعلمات مهما كنَّ فقيرات فاذا نلنَ مساعدة مالية اغنتهنَّ عن التسوُّل او عن ترك اطفالهنَّ للملاجئ اللقطاء استطعن ان يحسنَّ تربيتهم ولكن ذلك قلما ينطبق على حال الفقراء في الشرق لان نساءهُ جاهلات في الغالب فلا يحسنَّ تربية اطفالهنَّ ولذلك يرجح ان تربيتهم في الملاجئ اصلح لهم واما اذا انتشر التعليم العمومي وتعلم بنات الفقراء وصرن يحسنَّ تربية اطفالهنَّ فلا افضل من مساعدتهنَّ على هذه الطريقة

باب التقريظ والانتقاد

تقويم الابدان لابن جزلة الطبيب

انفس الهدايا واثمنها

كنا نعنون هذا الباب بباب الهدايا والتقاريظ تفاؤُلاً باهداء الكتب المفيدة الى مكتبة المقتطف فنستفيد منها ونفيد . ثم رأينا ان نبدل العنوان بعنوان آخر لان الكتب التي كانت تهدى الينا يقصد بها اما تقريظها او الاعلان عنها . لكن هذه القاعدة خولفت الآن مخالفة كبيرة تستوقف النظر فان البحَّاثة المحقق صاحب السعادة احمد زكي باشا السكرتير الاول لمجلس الوزراء قصد الاستانة منذ بضع سنوات فبحث في مكاتبها عن نوادر الكتب العربية وصوَّرها بالفوتوغرافيا لكي تطبع وتنشر . ومن الكتب النادرة التي صورها كذلك كتاب تقويم الابدان لابن جزلة وهو في مئة صفحة وصفحتين طول كل صفحة منها ٢٨ سنتيمتراً وعرضها ٢٩ مكتوبة بخط جميل جداً سنة ٥٩٦ للهجرة اي بعد وفاة المؤلف بمئة سنة . ثم جمع هذه الصفحات بل الصور البديعة وجلَّدها في كتاب كبير تجليداً جميلاً متيناً واهداهُ الى مكتبة المقتطف . والهدايا على مقدار مهديها . والمؤلف يحيي بن عيسى بن علي بن جزلة من اشهر اطباء العرب يعدُّ من طبقة ابن سينا وابن بطلان وابن التلميذ والفخر الرازي . قال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء انهُ « كان من المشهورين في علم الطب وعملهِ ولهُ نظر في علم الادب وكان يكتب خطًّا جيداً منسوباً وقد رأيت بخطهِ عدة كتب من تصانيفهِ وغيرها تدل على فضلهِ وتعرب عن معرفتهِ . ولهُ من الكتب كتاب تقويم الابدان صنفهُ للمقتدي بامر الله . وكتاب منهاج البيان فيما يستعملهُ الانسان وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبيَّة في تدبير الصحة وحفظ البدن لخصهُ من كتاب تقويم الابدان »

وترجمهُ القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان فذكر ما تقدم من كتبهِ وقال انهُ توفي سنة ٤٩٣

وتقويم الابدان جداول وشروح كتذاكر الجيب التي توضع للمشتغلين بالتطبيب . فالجداول تتناول كل الامراض والافات التي كانت معروفة في عهد المؤلف والشروح تتناول

تدبير هذه الامراض والافات اي طرق علاجها. مثال ذلك الكلام على الحمَّى التي سماها حمَّى يوم فقد ذكر ثمانية انواع منها في صفحة واحدة ووصف مَن يصاب بهذا النوع او ذاك منها وسنهُ والزمان والمكان اللذين يكثر هذا النوع فيهما والانذار فيهِ وسماهُ السلامة والخوف. والسبب والعلامات وهل يجوز الاستفراغ فيهِ او لا يجوز اي هل يجوز اطلاق الدم او الامعاء. والتدبير الملكي اي معالجة الذين يصعب عليهم اخذ الدواء الكريه كالملوك والاطفال والتدبير السهل الموجود للذين يسهل عليهم استعمال كل علاج. مثال ذلك قولهُ في حمى يوم الناتجة عن التعب انها تصيب اصحاب المزاج اليابس من الشبان في زمن الصيف والبلاد الحارة وهي سليمة العاقبة وسببها الرياضة المجاوزة للاعتدال وعلامتها يبس الجلد وصغر النبض ويترك فيها الاستفراغ. والتدبير الملكي فيها الاستحمام والدلك المعتدل ودهن البنفسج ولحم الفراريج والجداء. والتدبير السهل الوجود الراحة والنوم والاستحمام والدهن. وقال في تدبير هذه الحمى ان اوفق ما يدبَّر بهِ صاحب هذه الحمى الدعة والسكون في المواضع التي يقتضيها الوقت فاذا انحطت الحمَّى فليدخل الحمام ويجلس في الايوان الذي فيهِ الماء الفاتر ثم يخرج منهُ فيدلك بدنهُ دلكاً معتدلاً بدهن البنفسج والنيلوفر ثم يصب عليهِ الماء الفاتر الكثير. فاذا خرج وسكن فليغذَّ بالفراريج واطراف الجلى والخس والهندباء وبقلة الحمقاء ويستكثر من الغذاء في دفعات كثيرة ليخلف عوض المحالل

وقال في الكلام على حمَّى الغب انها تصيب اصحاب المزاج الحار اليابس في سن الشباب وزمن الصيف في البلدان الحارة اليابسة. والانذار فيها السلامة اذا كانت ذات مرات وسببها عفن الخلط الصفراوي خارج العروق. وعلاماتها انها تنوب يوماً و يوم لا. نافض شديد ولدع كنخس الابر وحرارة لداعة وتبن البول ولونهُ كلون النار وعطش شديد وان كانت داخل العروق. واختلاط الذهن. والاستفراغ بماء الرمانين بشحمهما مع سكر وشراب الورد المكرر و بسكنجبين وثلج. والتدبير الملكي ماء الشعير بشراب البنفسج وماء البطيخ الهندي والجلاب والطباشير. والتدبير السهل الموجود ماء الرمان المز و بزر بقلة وماء خيار والماء البارد اذا لم تكن المعدة او الكبد خفيفة

وقال في التدبير العام انهُ بعد استفراغ الخلط ينبغي ان يسقى يوم النوبة ماء تمر هندي مصفى مع سكنجبين وجلاب وماء الرمان. و يوم اخلالها يسقى خمسين درهماً ماء الشعير مع اوقية سكر طبرزد و بعدهُ باربع ساعات اوقية ونصف سكنجبين ساذج و يمتص الرمان المزو يأخذ الاجاص و يأكل الخس فان كان صيفاً فيبرد ما يتناول بالثلج و يكون في هواء

بارد فان كان شتاءً ففي موضع معتدل الهواء فان عرض الغثيان واحس بحرارة فيقيا بالسكنجبين وماء حار ويأخذ بعد القيء شراب الحصرم وشراب الرمان الحامض

وقال في الكلام على السرطان انهُ يصيب اصحاب الامزجة الباردة واليابسة من الكهول ويظهر في الخريف في البلاد الباردة وهو غير مخوف الأَّ ان تأكّل او قرب من عضوٍ شريف وسببهُ المرة السوداء اذا كان بعضها خارج العروق وبعضها داخلها وعلاماتهُ شدة الصلابة وشكلهُ شبيه بشكل السرطان والاستفراغ فيهِ بالفصد وان كان في امرأة فبادرار الحيض ثم بمطبوخ الانتيمون . والتدبير الملكي الطلي بالتوتيا والمرداسنج واسفيداج الرصاص ودهن ورد وشمع . والتدبير السهل الموجود شمع ودهن وطين ارمني . وقيل في التدبير العام انهُ قبل ان يتقرح ينبغي ان يضمد بمرهم الزنجفر فان تقرح فيطلى باسفيداج الرصاص وتوتيا مغسول ودهن ورد وماء الكرفس او القنطريون المسحوق بماء او اصل الشبث ولسان الحمل مسحوقين معجونين بماء . فان استحكم وعظم ولم يصلح بالادوية فان كان في الرحم فلا سبيل الى قطعهِ . وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف وان كان في الثدي وكثيراً ما يعرض فيهِ نزف ايضاً او كان في موضع من البدن لا تجاوزهُ شرارين كثيرة فيعالج بالحديد بان يقوّر بموسى حادة ثم تعصر العروق بعد ذلك ليبرز منها الدم ثم يعالج بالسمن والمراهم الداملة للقروح

وقال في الكلام على الهيضة (ولعلها الكوليرا) انها تصيب اصحاب الامزجة الباردة من الكهول في الخريف في البلدان الجنوبية وهي مخوفة وسببها فساد البلغم لكثرتهِ اورداءة كيفيتهِ وعلاماتها الكرب والعطش والغثيان ثم القيء والاسهال ويجب فيها الاستفراغ بالقيء بالماء الحار ودهن لوز . وان اسرف القيء فيسقى المنبه . هذا هو التدبير الملكي . والتدبير السهل الموجود الانغماس في الماء البارد ويستكثر من النوم . وقال في التدبير العام ينبغي ان يضمد البطن بالآس والسفرجل ودهن الورد والطين الارمني ويشم الروائح الطيبة كالصندل وماء الورد والكافور والسفرجل وان اسرف الاسهال او القيء حتى يحدث غشيان فيرش الماء المبرّد وماء الورد على الوجه ويشد عضل الساعدين والساقين وبدلك القدمين فاذا افاق فيعطى السفرجل والتفاح ويغذى بالخبز المبلول بمثلث او بماء التفاح والكعك او بمرقة دراج او فروج زيرباج بكعك او سماقية او زركشية أُلقي فيها قطع السفرجل والتفاح . فان وجد حرارة فيعطى سويق الشعير بالماء المثلوج وتبرد المعدة بالصندل وماء الورد فان كان القيء بلغميًّا فيعطى شراب التفاح الطيب

ويتبع ذلك شروح كثيرة مسطورة في اوائل الصفحات واواخرها لكن المجلد اخطأ في وضع الصفحات فجلدها متوالية بدلاً ان يجلد كل اثنتين متقابلتين لتتصل سطور الواحدة بسطور الاخرى

والخط من ابدع ما رأتهُ عيننا مثل خطوط اجمل المصاحف

ولم نسمع انهُ عني احد بطبع هذا الكتاب ونشرهِ مع انهُ ترجم الى الفرنسوية وطبع فيها. ولا شبهة في ان اطباءنا يجدون فيهِ فوائد كثيرة عملية فيرون طرق العلاج القديمة وما قد يكون فيها من الاساليب النافعة ويرون ايضاً كيف كان القدماء ينظرون الى الامراض واسبابها . ويستفيد الكتَّاب والمترجمون منهم معرفة المصطلحات الطبية القديمة ويرون ان طبيباً من المشهود لهم بالادب كان يفضل الخطأ المشهور على الصواب المهجور

هذا واننا نكرر الشكر لسعادة المهدي الكريم على هذه الهدية النفيسة وعسى ان نتمكن من الافادة بها

كتاب التفسرة

اي الاستدلال باحوال البول على المرض

الدكتور احمد بك عيسى طبيب الامراض الباطنة في المستشفى العباسي من اشهر الاطباء المصريين بالبحث والتحقيق وتحلية جيد العربية بنفائس الكتب الطبيَّة . اتحفنا الآن بكتاب يعد اكبر مساعد للطبيب على تشخيص المرض لان البول شديد التأثر بحال الانسان من الصحة والمرض حتى كان الاطباء الا قدمون يلقون عليهِ جل اعتمادهم في تشخيص الامراض ومن ذلك قول بعضهم في الطبيب ثابت بن قرة

هل للعليل سوى ابن قرة شافٍ ... بعد الاله وهل لهُ من كافِ
فكأَنَّهُ عيسى بن مريم منطقاً ... يهب الحياة بايسر الاوصاف
مثلث لهُ قارورتي فرأى بها ... ما اكتنَّ بين جوانبي وشغافي
يبدو لهُ الداء الخفي كما بدا ... للعين رضراض الغدير الصافي

وكتاب التفسرة واسع جدًّا في بابهِ جامع الآراء ما يعتمد عليهِ ومن الطرائق ما يرجع اليهِ فقد خدم بهِ اخوانهُ الاطباء وابناء العربية اجل خدمة وهو يقع في نحو مئتي صفحة كبيرة موضحة بالرسوم

الدولة العثمانية
في لبنان وسورية

هذا عنوان كتيّب بقلم كاتب انتحل اسم « المسعودي » ووصف فيهِ حكم الدولة العثمانية للبنان وسورية في مدة اربعة قرون اي من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٩١٦ وهو صورة جلية لماضي البلاد السورية يشتمل على تمهيد في حكم المماليك والصليبيين ثم على ستة فصول الاول سورية في القرن السادس عشر . والثاني سورية في القرن السابع عشر . والثالث سورية في القرن الثامن عشر . والرابع سورية في القرن التاسع عشر واوائل العشرين . والخامس لبنان بعد نظامهِ الحديث . والسادس سورية بعد نظام لبنان الحديث . ننقل شيئًا من الفصل الاخير . قال :

« وقد كان دستور لبنان نعمة لسورية لانهُ غلّ ايدي الولاة عن ارتكاب المنكرات فيها . وحال دون ما كانوا يتذرعون بهِ من القلاقل التي كانت تقع في لبنان لاجتياحهِ والاستطراد الى اجتياح انحاء سورية وانزال الويلات باهلها ولاسيما ما كان داخلاً منها في حكم امراء الجبل . وكان لانتشار المدارس الاوربية بعد سن هذا النظام شأن خطير في ايقاظ شعور السوريين فاقبلوا عليها اقبالاً عظيماً . وكانت المدارس الوطنية الى بدء تلك النهضة ابتدائية قاصرة على جهة دون اخرى . فاخذ الاهلون يتبارون في الاكثار منها وجروا فيها على لوائح المدارس الابتدائية فازداد الطلبة اقبالاً على اقتباس الآداب الغربية ونشأ الجيل الجديد راقيًا متنوراً ميالاً الى انتهاج خطة الغربيين في ترقية البلاد واصلاح شأنها . وبدت هذه النهضة الادبية على اتمها في بيروت حتى باتت كعبة القصّاد من طلاب العلم ومنتجعي المعارف كما كان شأنها في عهد الرومان حيث كانت تلقب بمدينة العلوم والشرائع . وبرزت من ذلك اللسان الارضي الذي يقف عندهُ بحر الروم في الشرق كمنارة عظيمة تبعث اشعة العلم والعرفان الى ما وراء البحار ولاسيما الى ارض الفراعنة فكان للقبس الذي جاء هذه الارض منها شأن عظيم في تأسيس نهضتها الحديثة . ولولا سيف عبد الحميد الذي كان مصلتًا فوق رقاب المتنورين من رعاياهُ في الربع الاخير من القرن الماضي لدخل القرن العشرون على سورية وهي سيدة الممالك الشرقية »

والكتاب جزيل الفائدة للسوريين عمومًا وللبنانيين منهم خصوصًا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فوائد الختان

مصر . عبد الحليم افندي الياس نصير . ما فوائد الختان في الذكور والاناث ولِمَ لا يستعملهُ الانكليز وسائر الامم الراقية

ج . يحتمل انهُ يفيد في منع تجمع الاوساخ ولاسيما في البلاد الحارَّة . ويقال انهُ يفيد ايضاً في التزوج وان هذا هو السبب الاصلي الذي لاجلهِ استعمل ولذلك كان وقتهُ اولاً قبيل الزواج وقيل غير ذلك . والختان شائع في بلدان كثيرة وقد جعل الاطباء يصفونهُ الآن في اوربا واميركا في بعض الاحوال

(٢) فوائد الزواج

ومنهُ . ما المزايا الطبيعية التي يستفيدها الزوجان كلاهما من القران عدا الذرية

ج . لاشبهة ان للزواج فوائد ادبية وصحية ومعاشية فالآداب المتفق عليها تحفظ بالزواج اكثر مما تحفظ بغيرهِ وكذلك الصحة تحفظ بهِ اكثر مما تحفظ بغيرهِ وتدبير المعيشة اسهل على المتزوج منهُ على غيرهِ

(٣) الذكور والاناث

ومنهُ . ما هو العامل في اختلاف الذكور عن الاناث وهل في مقدور الانسان ان يخلف ذكوراً او اناثاً حسب ارادتهِ وهل للتغذية اثر في ذلك

ج . لا يزال بعض العلماء يبحثون في هذا الموضوع بحثاً مؤيداً بالتجارب في الحيوانات ولكنهم لم يكتشفوا حتى الآن شيئاً يحسن ان يقال انهُ عامل حقيقي في البيضة الملقحة حتى تصير ذكراً او انثى حسب الارادة . وقد خطر لنا خاطر منذ سنين كثيرة اشرنا اليهِ في بعض اجزاء المقتطف الماضية وهو انهُ يكون في البيضة دقائق صغيرة من كل اعضاء الام وفي الجرثومة الملقحة دقائق صغيرة من كل اعضاء الاب فحينما تدخل الجرثومة الملقحة البيضة لتلقيحها يخرج منها جانب مما فيها اي يخرج جانب من الدقائق الممثلة لجسم الانثى و يدخلها دقائق ممثلة لجسم الذكر فاذا اتفق ان خرج منها كثير من مقومات جنس الاناث تولَّد من الباقي جنين ذكر

والأ فجنين انثى . ولذلك فمن المحتمل انهُ اذا كانت جرثومة الذكر قوية بالغة اشدها من النمو وانمى من البيضة تكوَّن منهما ذكر والأ فانثى ويمكن الاستدلال بامور كثيرة على احتمال هذا التعليل او ارجحيتهِ

ومن ثمَّ يظهر فعل التغذية فان نساء الاغنياء المترهفات تكثر ولادتهنَّ للبنات . والفقيرات اللواتي يتركن أفضل الاطعمة لرجالهنَّ تكثر ولادتهنَّ للذكور

(٤) بداءة الخلق

ومنهُ . ما اول شيء خُلق في العالم على رأي الطبيعيين وكيف نشأ ومن كوَّنهُ

ج . يستدل العلماء الطبيعيون ممَّا يرونهُ في السماء من انواع السديم او المادة السحابية انها هي المادة الاولى وان الارض والنظام الشمسي كلهُ كان سحابًا او دقائق صغيرة منتشرة في الكون هي دقائق المادة وانهُ كان فيها قوة التجاذب بين دقائقها . وهم لا يعلمون كيف نشأت ولا مَن انشأها ولكن عقولهم تدلهم على انهُ لا بدَّ من ان يكون لها منشيء انشأها في زمن من الازمنة

(٥) الحصبة

ومنهُ . من اي الاصقاع سرى مرض الحصبة الى مصر ولماذا يتفشى في الاطفال دون سواهم ولماذا لم يعمل على حسمها شأن الجدري

ج . الحصبة قديمة ذكرها الرازي وغيرهُ من اطباء العرب . ولا يحتمل انها كانت غير معروفة في القطر المصري ولكن قلما كان القدماء يفرقون بينها وبين الجدري . وهي تصيب الكبار والصغار على حدٍ سوى ولكن يقل ظهورها في الكبار لانهم يكونون قد حصبوا وهم صغار وهي من الامراض التي يصاب بها الانسان مرةً واحدة . ولم يهتمَّ العلماء باكتشاف مصل واقٍ منها لانها سليمة في الغالب

(٦) الاسكندر وافيال النحاس

ومنهُ . أصحيح ما روي عن الاسكندر من انهُ صنع فيلة نحاسية جوفاء حشاها نفطًا وكبريتًا في محاربة فور ملك الهند

ج . ان ترجمة الاسكندر الحقيقية لا يذكر فيها شيء من ذلك ولكن للاسكندر ترجمات كثيرة موضوعة ذكرت فيها هذه القصة وامثالها من موضوعات القصاصين . وترون الخبر الصحيح عن معارك الاسكندر والخبر الموضوع في ترجمتهِ التي نشرناها في المجلدين الثالث والعشرين والرابع والعشرين من المقتطف

(٧) الاسود في الحرب

ومنهُ . ما اقدم امَّة استعملت السباع في حروبها وكيف الف قدماء المصريين الاساد ومن اي فج كانوا يقتنصونها وكيف استخدموها في حروبهم

ج . يظهر من النقوش المصرية ان استخدام الاسود في الحرب قديم جدًّا

فرعمسيس الثاني يمثَّل في حرب الحثيين ومعهُ اسدفي مر كبتهِ . واذا ربي الاسد شبلاً صغيراً نشأ اليفاً حتى ان القدماء كانوا يستخدمونهُ في الصيد كالكلاب . وكانت الاسود تصاد في غابات القطر المصري نفسهِ وعلى مقربة من الاهرام كما يظهر من الآثار القديمة . وكان الاسد يذلل كما يذلل الآن بالتربية والتدريب من الصغر

(٨) ولادة البغال

ميت غراب . محمد افندي سعفان . لماذا لا تلد البغال

ج . لان اعضاء التناسل فيها ممزوجة من صنفين مختلفين وغير مستكملة واحداً منهما حتى تتأهل لتوليد البويضات او الجراثيم التي تلقحها ولكن يتفق احياناً ان تولد بغلة كثيرة الشبه بالفرس امها فتكون اعضاء التناسل فيها صالحة للتوليد . وقد رأينا بغلة من هذا النوع عند المرحوم عمر باشا لطفي وكانت كثيرة الشبه بالفرس وقد حملت من حمار وولدت بغلاً

(٩) حيوان من البقرة والجمل

ومنهُ . هل يولد حيوان من البقرة والجمل كما تولد البغال من الخيل والحمير

ج . كلاَّ لان نوع الجمل بعيد جدًّا عن نوع البقر ولكن يحتمل ان يقع التوالد بين البقر والجواميس وبين الجمال العربية والجمال التترية ذات السنامين اما الحمير والخيل فمن اصل واحد لم يبعدا عنهُ بعداً شاسعاً كما بعدت الجمال والبقر عن الاصل المتولدة منهُ

(١٠) انواع التطعيم

ومنهُ . ذكرتم في مقتطف السنة السادسة وجه ٥٢ ان السفرجل يمكن تطعيمهُ بالاجاص فتكرموا علينا بشرح عملية التطعيم

ج . انواع تطعيم الاشجار مختلفة اشهرها الخمسة التالية

الاول ان يقطع غصن طري من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها و ينزع منهُ جانب فيهِ ورقة وتحتها برعم كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الاول . واذا قطع معهُ شيءٌ من الخشب وجب نزعهُ منهُ بالتأني حتى لا يبقى فيهِ الاَّ القشر السليم واسفل الورقة والبرعم الذي تحتهُ . ثم يبرى طرف قضيب من قضبان الشجرة التي يراد تطعيمها و يشق قشرهُ شقًّا كحرف التاء الافرنجية كما ترى فوق الرقم ٢ في الشكل الاول ويجب ان يصل الشق الى الخشب ولا يجرحهُ ثم ترفع طرفي القشر برأس السكين وتدخل الجزء الذي نزعتهُ اولاً في هذا الشق وتسوي طرفيهِ عليهِ كما ترى فوق الرقم ٣ وتربطهُ ربطاً محكماً بقشر شجر او بخرقة ولكن لا تشد الرباط كثيراً . فينمو البرعم و يغتذي مما تحتهُ و يتولد منهُ غصن مثل الشجرة التي أُخذ منها . وعلى هذا الاسلوب يطعم التوت البري بتوت جوي

فتقطع قضبان التوتة البرية كلها و يطعم منها ثلاثة او اربعة واذا ظهرت فيها فروخ اخرى غير فروخ المطاعيم نزعت منها حال ظهورها فتصير قضبانها كلهــا من نوع الشجرة التي طعمت بها

الثانية ان يقطع غصن صغير من الشجرة التي يراد التطعيم بها و يكون فيهِ برعم او اكثر كما تقدم ويبرى حتى تكون فيهِ زاوية داخلية كما ترى في الجزء الاعلى الذي فوق الرقم ٤ في الشكل الاول ثم تبري غصناً من الشجرة التي تريد تطعيمها حتى يستقر المطعوم عليهِ ويلتحم بهِ كما ترى فوق الرقم ٤ ويطلى الغصن والطعم بالطين او نحوهِ لكي لا يجف المطعوم سريعاً بتبخر الرطوبة منهُ . و يفضل ان يكون في الطعم برعمان او ثلاثة لا برعم واحد ويجب ان يتصل قشر الطعم بقشر المطعم كما ترى فوق الرقم ٤

الطريقة الثالثة ترى فوق الشكل ٥ وهي ان يبرى المطعوم من تحت البرعم حتى يصير كالاسفين و يقطع الغصن الذي يراد تطعيمهُ قطعاً فرضياً حتى يدخل الاسفين فيهِ فيملأُ فرضهُ كما ترى فوق الرقم ٥ ثم يربط بقشرة او بخرقة

والطريقــة الرابعة عكس الطريقة الثالثة وهي ان يبرى الغصن الذي يراد تطعيمهُ كالاسفين و يفرض الطعم حتى يركب على هذا الاسفين كما ترى فوق الرقم ٦ و يربط الجزءان معاً

والطريقة الخامسة اكثر استعمالاً من غيرها وهي شائعة في تطعيم الليمون والزيتون وذلك بان يقطع ساق الغرس بمنشار ويسوَّى اعلى القطع بسكين ماضية وتقطع اقلام من الشجرة التي يؤْخذ منها الطعم وتبرى اطرافها كالاسافين وتدخل بين القشر والخشب كما ترى فوق الرقم ٧ . ويسهل عليك ذلك بان تصنع قلماً من الخشب الصلب مثل الطعم تماماً وتدخلهُ بين القشر والخشب حيث تريد ان تضع الطعم حتى تجعل لهُ مكاناً هناك ثم تنزعهُ وتضع الطعم مكانهُ وتلف المطعوم بالخرق والطين

(١١) الامزجة الاربعة

ومنهُ . ما الذي قرَّرهُ الطب الحديث في الامزجة الاربعة التي اقرها بقراط وهل الكم في وصفها

ج . كان القدماء يقولون بالاخلاط الاربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وان الامزجة ناتجة من امتزاج اثنين او ثلاثة من هذه الاخلاط (والاخلاط ترجمة حرفية لكلمة كراسس اليونانية) وقال بقراط ان الامزجة الاربعة ناتجة من اختلاط اربعة عناصر ثانوية او مركبة وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وان الدم مؤلف من الحار والرطب والبلغم من البارد والرطب والصفراء من الحار واليابس والسوداء من البارد اليابس . وكل

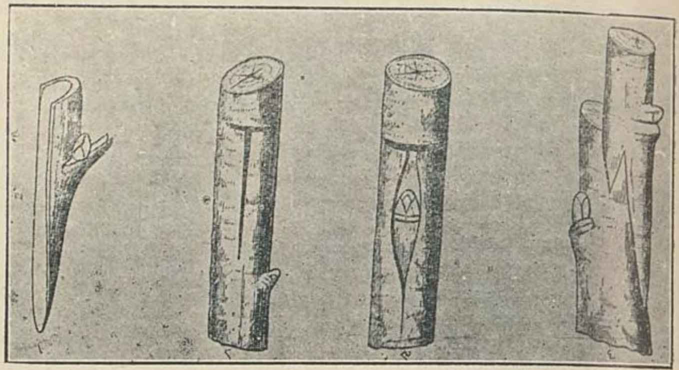

١ ٢ ٣ ٤

الشكل الاول

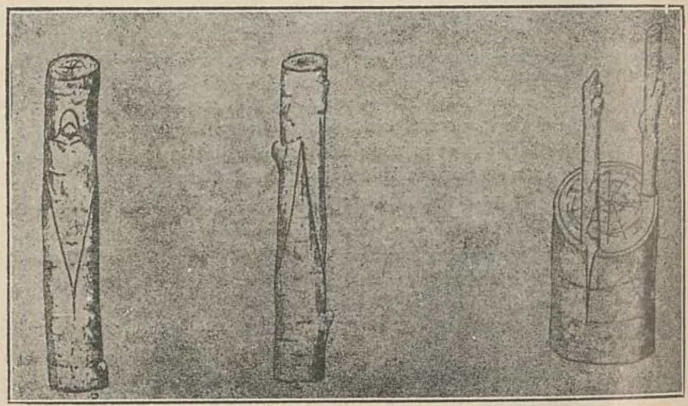

٥ ٦ ٧

الشكل الثاني

مقتطف سبتمبر ١٩١٧
امام الصفحة ٣٠٤

ذلك مرفوض الآن ولكن لا يزال الاطباء يقولون بالامزجة الاربعة ويسمونها بالاسماء التالية وهي الدموي والبلغمي او اللمفاوي والسوداوي او العصبي والصفراوي . وترون كلاماً مسهباً على الامزجة في الجزء الاخير من المجلد العاشر من المقتطف والاول من المجلد الحادي عشر . وفي الجزئين السادس والسابع من المجلد السابع عشر

(١٢) التزوج بين الاقارب

الاسكندرية . انطون افندي غالي . هل لزواج الرجل من قريبته تأثير في نسلها

ج . نعم فاذا كان فيهما ميل الى مرض وراثي قوي هذا الميل في نسلهما واذا كان فيهما صفة اخرى جسدية او عقلية قويت هذه الصفة في نسلهما في الغالب

(١٣) مص القصب

ومنهُ . ايهما اعظم فائدة للجسم عصر قصب السكر وشربهُ ام مصهُ

ج . مصهُ اذ يكثر حينئذٍ مزجهُ باللعاب والهواء

(١٤) اليازجي وانتقاد لسان العرب

مصر . علي افندي جندي . قرأت ان الشيخ ابرهيم اليازجي كان نقادة كبيراً وانهُ كان ينتقد كلام العرب الصيميين في الجاهلية والاسلام ولم يفلت من يدهِ كتاب لسان العرب . فاذا كان هذا الكتاب اوثق مصدر يعتمد عليهِ في لغة العرب فعلى اي سند كان يعتمد حضرتهُ في نقدهِ

ج . لما اتسع ملك العرب وانتشرت بهِ العربية اهتمَّ الفرس وغيرهم من الذين تعلموها بجمع متنها ووضع القواعد لها تسهيلاً لحفظها . ووضع القواعد للغة منتشرة في بلاد واسعة وبين اقوام مختلفين ليس بالامر السهل واذا قلنا انهُ يستحيل ان توضع قواعد قليلة للغات ملايين من الناس حتى تشملها كلها لم نخطىء فاذا اعتمدنا على القواعد التي وضعها سيبويه والذين بعدهُ وعلى الكلمات التي نجدها في كتب اللغة المعروفة وقلنا هنا كل العربية التي كان العرب يستعملونها قبل الاسلام وبعدهُ وما خرج عنها غلط وجدنا الغلط كثيراً . ولكن اذا قلنا ان المحفوظ من الفاظ اللغة وتراكيبها هو الاصل فاذا خرج بعضها عن القواعد المعروفة وزاد عمَّا في كتب اللغة لزمنا ان نقول ان القواعد ناقصة وكذلك كتب اللغة . وقد كان المرحوم الشيخ ابرهيم من الفريق الاول في الغالب يحسب ان الصحيح من العربية هو ما وافق القواعد الموضوعة ولم يخرج عن متن اللغة المحفوظ في كتبها الموثوق بها

اما انتقادهُ على لسان العرب فكان اكثرهُ في محلهِ لكثرة ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطإِ والتحريف ولان ابن منظور اخطأ في بعض ما نقلهُ عن غيرهِ كما ترون في مقالة خاصَّة في هذا الجزء

(١٥) بيض الفراش

واقد عزيز افندي سوريال . ارسلنا الى حضرتكم طي هذا جسمًا غريبًا وجدناهُ لاصقًا بساق نبات من نبات الذرة وترون انهُ مكون من غشاء ملاصق للساق يشبه جلد الثعبان تعلوهُ اجسام تشبه بزور الكمون . والجزء المرسل لكم هو نحو ثلثي الجسم الذي وجدناهُ فنرجو افادتنا بماهيتهِ

ج . هو بيوض فراشة وقد فقدناهُ قبلما تحققنا نوعها ولكننا نرجح انهُ من نوع الدود الكبير الذي يأكل نبات الذرة فان الفراشة تبيض هذا البيض كما تبيض فراشة دود القطن بيضها . ويخرج الدود من البيض ويغتذي بما حولهُ من النبات الى ان يبلغ تمام نموهِ فيصنع لنفسهِ شرنقة ويصير فيها زيزاً والزيز يستحيل فراشة وهلمَّ جرًّا

(١٦) اصل المعتقد الديني

دفنو فيوم . عبد الله افندي عبد العال . ما كيفية تسرُّب فكرة الدين الى العقول لاول مرة افلا ترجع الى الموت والخوف والوهم السائدين عليهم وكيف تصوَّر الناس وجود اله بادئ بدء وكيفهُ في صورة قوة هائلة بدون مادة

ج . يظهر من مباحث العلماء الباحثين في هذا الموضوع انهُ ليس في الامكان معرفة اصل الاعتقاد الديني من البحث في آثار البشر او في اخبارهم السالفة وتواريخهم ولا بدَّ من الرجوع الى الظنون المبنيَّة على الفلسفة العقلية او علم النفس (سيكولوجيا) وعلى المشاهدات العصرية . وهذا البحث عويص جدًّا يتعذَّر ايضاحهُ الاَّ في صفحات كثيرة وكلهُ ظنون او احتمالات ومرجحات والكلام فيها كثير يزيد على ما فيهِ من النفع . وقد نشرنا آراء هربرت سبنسر في ذلك في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف في فصول مختلفة المواضيع كآراء الاولين صفحة ١٨٣ والموت والبعث ومعتقد الاولين فيهما صفحة ٢٥٧ والحياة بعد الموت صفحة ٣٢٩ والعالم العتيد صفحة ٤١٦ وتسلط الارواح ٥٠٩ والعرافة والسحر والتنجيم ٥٨٥ والمعابد والمذابح والصلاة والصوم ٧٢٩ و ٨١٤ وعقبنا على ذلك كلهِ صفحة ٨١٨

(١٧) تغلب الرجل على المرأة

ومنهُ . كيف تغلَّب الرجل على المرأة ونزع حريتها مع اننا نرى الذكر والانثى من الحيوان الاعجم يعيشان معًا ولا يعبث احدهما بحرية الآخر

ج . ان الانثى اضعف من الذكر في الغالب والقوي يتغلَّب على الضعيف ولذلك امثلة كثيرة في طوائف العجماوات

وقد اختلف الناس في معاملة رجالهم لنسائهم من قديم الزمان فبعضهم ساوى بين الرجل والمرأة وبعضهم فضَّل الرجل على المرأة وبعضهم فضَّل المرأة على الرجل .

والفواعل الكبرى لتفضيل الرجل على المرأة ترجع الى القوة البدنية وبعض التعاليم الدينية

(١٨) نطق الانسان

ومنهُ . كيف امكن الانسان النطق لاول مرة وهل من حيوان يستطيع النطق غير الببغاء

ج. ان الغراب يتعلم النطق كالببغاء. اما الانسان فالمرجح عند العلماء انهُ لم ينطق بالكلمات دفعةً واحدة بل كان يصوت اصواتاً قليلة تماثل اصوات بعض الحيوانات كالهر والكلب والفرس واصوات بعض الاشياء الطبيعية كحفيف الشجر وخرير الماء وكثرت هذه الاصوات وتنوعت على تمادي العصور في الوف كثيرة من السنين وتداولها الناس بالقدوة الى ان صار منها لغة او لغات بسيطة والداعي اليها التعبير عن المراد فان الاصوات اصلح لذلك من الاشارات

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	١	٢	٢٨ مساءً
الربع الاخير	٨	٩	٥ صباحاً
الهلال	١٦	٠	٢٧ مساءً
الربع الاول	٢٤	٧	٤١ صباحاً
البدر	٣٠	١٠	٣١ مساءً
القمر في الحضيض	١	٩	٥٤ صباحاً
" الاوج	١٤	٤	٤٢ مساءً
" الحضيض	٢٩	٨	٦ "

السيارات

عطارد — يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخرهِ

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ وزحل — يكونان كوكب صباح

المشتري — يشرق نحو الساعة ١٠ مساءً

الطيران بعد الحرب

سئل فوكر الالماني مخترع الطيارة المعروفة باسمهِ عن رأيهِ في الطيران بعد الحرب فقال ما خلاصتهُ ان نقل الركاب من مكان الى آخر سيبلغ بعد الحرب شأناً عظيماً وتفضل الطيارات على سائر وسائل الانتقال لانها اسرع منها . وعندهُ ان الطيارات ستكون اعظم مزاحم في الاسفار البحرية لاعظم البواخر التي تمخر في البحار الكبرى لانها

تقطع الاتلانتيكي مثلاً في يوم ونصف او يومين . قال وحالما تنقضي الحرب يجرب قطع الاوقيانس المذكور بالطيارات فلا تمضي خمس سنوات حتى يبيت قطعهُ من الامور العادية التي لا تستوقف نظر احد

المريخ وترعهُ

درس الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي المشهور وجه السيَّار المريخ من مرصد هارفرد في جزيرة جامايكا فاستدل منهُ على امور جديدة تخالف الرأي المشهور الآن . من ذلك ان البقع السوداء في المريخ تغيّر مراكزها كل سنة بين تقدم وتأخر مسافة بضع مئات من الاميال وكثيراً ما تنقل معها في انتقالها خطوط المريخ التي يسمونها ترعهُ او قنواتهِ . وكذلك تغير هذه البقع الوانها من خضراء الى ربداء . وقد رئيت بقع زرقاء الى حين عند القطب وقيس عرض الترع فاذا هو يختلف بين ٣٠ ميلاً و ١١٠ اميال

بلاد فلسطين

كتب الدكتور ماسترمان الانكليزي مقالة عن فلسطين بيَّن فيها مزاياها وعيوبها . وهو من الذين ساحوا فيها كثيراً ولا يزال الى الآن سكرتيراً لجمعية النقب عن الآثار القديمة فيها . ومن رأيهِ ان البلاد لا تصلح في حالتها الحاضرة لاستعمار الاوربي لها وان حاجتها الاولى هي زرع الغابات وانشاء نظام للري واعادة حقول الكروم في الجبال كما كانت عليهِ في الماضي منضوداً بعضها فوق بعض في سطوح مائلة على اسناد الجبال . وهذه الحقول هي ما يسمى في بلاد الشام جلالي واحدها جلّ . كذلك البلاد في حاجة امسّ الى مكافحة امراض البلاد المنتشرة وهي الملاريا والرمد الصديدي والدوسنطاريا والسل . قال « والبلاد لا تحتمل في حالها الحاضر زيادة سكان فلذلك أرى ان باب الاستعمار فيها ضيق بعد الحرب اذا أريد ان يكون الاستعمار واسع النطاق »

بلاد الزلازل

سميت اليابان ببلاد الزلازل لكثرة تناوبها لها . واشبهت ايطاليا اليابان من هذا القبيل بين بلاد اوربا وولاية كليفورنيا بين ولايات اميركا . فقد جاء في بعض الاحصاءات ان آلات قياس الزلازل سجلت فيها ٦٦ هزة سنة ١٩١٦ وهذا يزيد على مجموع الهزات التي سجلت في سائر الولايات المتحدة في السنة المذكورة على انها كانت كلها هزات خفيفة لم تحدث ضرراً يذكر

اما ايطاليا فيؤْخذ من احصاءات عشرين سنة (١٨٩١ — ١٩١٠) ان عدد الزلازل والهزات التي حدثت في تلك المدة بلغ ٥٩٢٢ اي بمتوسط ٢٩٦ في السنة .

وان زلزلة كلابريا التي حدثت سنة ١٩٠٥ تلتها ٣٩٦ هزة وزلزلة مسينا التي حدثت سنة ١٩٠٨ تلتها ١٢٢٧ هزة

ثياب من الياف البنجر

في اسوج مهندس بدأ منذ عشرين سنة يجرب التجارب لصنع نسيج متين من الياف البنجر يصلح لعمل الثياب منهُ . فنجح بعض النجاح ولكن كثرة النفقات حالت دون توسعهِ في التجارب بحيث يكون لمشروعهِ نفع من الوجهة التجارية على ان الحرب بغلائها جرأتهُ على استئناف تجاربهِ فوفق تمام التوفيق الى صنع ملابس من الياف البنجر كثيرة البقاء وأرخص من الصوف الصناعي وقد لبس منها هو وبعض اصحابهِ . وسيشرع في اقامة معمل كبير لذلك

مجمع تقدم العلوم البريطاني

كان هذا المجمع قد قرر عقد اجتماعهِ السنوي هذه السنة في مدينة بورنموث ولكنهُ عاد فعدل عن ذلك بسبب تضييق الحرب والغى عقد الاجتماع بالمرة . وهذه هي اول مرة منذ انشائهِ لم يعقد فيها اجتماعهُ السنوي وعليهِ سيبقى السر ارثر ايڤانس في منصب الرآسة سنة اخرى ويرأس السر تشارلس بارسونز الجلسة السنوية القادمة التي يؤمل عقدها في مدينة كاردف

نقص غلة الحبوب

قُدّرت غلة القمح في شهر مايو الماضي في الارجنتين واوروغواي واستراليا وزيلندا الجديدية ٢٩٠٨٠٠٠٠ كوارتر يقابلها في العام السابق ٤٦١٤٤٠٠٠ كوارتر فالنقص يبلغ ٣٧ في المئة (والكوارتر نحو اردب ونصف) وقدرت غلة الاوت ٦٥٢١٠٠٠ كوارتر وكانت في العام السابق ١٠٩٨٤٠٠٠ فالنقص ٤٠٫٦ في المئة

وقُدّرت المساحة المزروعة قمحاً شتوياً هذه السنة بالنسبة الى ما كانت عليهِ في العام الماضي ٩٣ في المئة في الدنمارك و ١٠٥ في اسبانيا و ٨٥ في فرنسا و ٩٢ في بريطانيا و ١٠٤ في سويسرا و ٧٩ في الولايات المتحدة و ١٠٩ في اليابان و ١٠٠ في الجزائر . والمساحة المزروعة شعيراً ٩٣ في اسبانيا و ١١٠ في فرنسا و ٩٩ في سويسرا و ٨٨ في اليابان و ٩٥ في الجزائر

وقُدّر محصول القمح الشتوي في الولايات المتحدة هذه السنة ٣٧٣٠٠٠٠٠٠ بشل (والبشل نحو خمس اردب) وكان في العام الماضي ٤٨٢٠٠٠٠٠٠ بشل . ومحصول قمح الربيع ٢٨٣٠٠٠٠٠٠ بشل وكان ١٥٨٠٠٠٠٠٠ بشل في العام الماضي . ومحصول الشعير ٢١٤٠٠٠٠٠٠ بشل وكان

في العام الماضي ١٨٠٠٠٠٠٠ بشل ٠ والاطيان المزروعة بقمح الربيع هذه السنة ١٩٠٣٩٠٠٠ فدان وكانت في العام الماضي ٧٩٥٦٠٠٠ فدان٠ اما في فرنسا فالارض المزروعة بقمح الشتاء ٩٤٣٢٠٠٠ فدان وبقمح الربيع ٩٥٨٠٠٠ فدان والجملة ١٠٣٩٠٠٠٠ فدان وكانت في العام الماضي ١٢٨٠٠٠٠٠ فدان وكانت حالة الزراعة الشتوية في اول مايو ٥٢ وفي مايو السابق ٨٠ والزراعة الربيعية ٥٧ وفي العام الماضي ٧٢

وتقدر مساحة الاطيان المزروعة قمحًا في الهند هذه السنة ٣٣٠٤٠٠٠٠ فدان يقابلها في العام الماضي ٣٠٢٥٥٠٠٠ فدان ويقدر المحصول هذه السنة ٤٧٤١٣٠٠٠ كوارتر وكان في العام الماضي ٤٧٩٢٢٠٠٠ كوارتر

المغالاة بالتحف

لم تنقص الحرب من رغبة غواة التحف في المغالاة بها وابتياعها باثمان فاحشة فقد بيع في السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي بعض التحف القديمة من متحف هوب اولها تمثال اثينا الذي يظن انهُ من عمل فيدياس النحات اليوناني المشهور بسبعة آلاف ومئة وار بعين جنيهًا (٧١٤٠) وكان هذا التمثال واسطة عقد ذلك المتحف وهو من رخام بارا يمثل امرأَة يونانية جامعة بين الجمال والانفة كما كانت نساء اليونان في القرن الخامس قبل المسيح حين صُنع هذا التمثال

وثانيها في غلاء الثمن تمثال انتينوس كحامل الكاس لاريانوس وهو من رخام بارا وقد بلغ الثمن الذي بيع بهِ ٥٨٨٠ جنيهًا

وثالثها تمثال هيجيا إلاهة الصحة وهو من الرخام ايضاً وقد بلغ ثمنهُ ٤٢٠٠ جنية

ورابعها تمثال امرأَة يونانية مما يوضع في المعابد تذكاراً وقد بلغ ثمنهُ ٣٥٧٠ جنيهًا

واغرب من ذلك كلهِ ان كاساً من الخزف كانت للملك هنري الثاني ارتفاعها تسع بوصات بلغ ثمنها ٣٧٨٠ جنيهًا

هبات اميركية

وهب الكولونل باين مئتي الف جنيه لكل من جامعة يابل ومكتبة نيويورك العمومية٠ ومئة الف جنيه لكل من المدرسة الطبية في جامعة كورنل ومدرسة فيلبس وار بعمائة الف جنيه لكلٍ من كلية هملتن وجامعة فرجينيا والمجموع مليون وار بعمائة الف جنيه

واعطى المستر لاوي بربور جامعة مشيغان ١٥٠٠٠٠ ريال

ويقال ان الاموال التي انفقت وستنفق على انشاء مدرسة شيكاغو الطبية ستبلغ خمسة عشر مليونًا من الريالات اي ثلاثة ملايين من الجنيهات

حامض يذيب الزجاج والصيني

وصف الدكتور سمث مادة جديدة تذيب الزجاج والخزف والصيني والنكل وتؤثر في البلاتين ايضاً وهي فصفات الصوديوم الحامض الذي عبارتهُ الجبرية ص٤ف٦ ا١٢

طيارة انكليزية كبيرة

جربوا حديثاً طيارة انكليزية ضخمة فارتفعت الى علو سبعة آلاف قدم تحمل ربانها وعشرين راكباً وستة من البنادق المتعددة الطلقات او ما سميت بالمدافع الآلية او السريعة و ١٥٠٠ رطل من الديناميت

محطة لاسلكية قوية

شرعت وزارة البحرية الاميركية في بناء محطة قوية للتلغراف اللاسلكي في مدينة فلادلفيا تكون من اقوى محطات العالم فترسل الرسائل بها ثلاثة ارباع المسافة حول الارض اي الى بعد نحو ١٦ الف ميل

متانة الخرسانة المسلحة

ثبت في هذه الحرب ان القنابل الكبيرة التي تمزق قباب الصلب تمزيقاً لا تؤثر في مباني الخرسانة المسلحة الاَّ قليلاً فقد كان في شمال فرنسا خزان للماء من الخرسانة المسلحة طولهُ ٨٠ قدماً وعرضهُ ٤٠ قدماً وعمقهُ ١٢ قدماً قائم على اعمدة دقيقة ارتفاعها اكثر من اربعين قدماً وقد استعمل الالمان سقفهُ للاستكشاف فلما اخلوا بلدة هنبك التي هو فيها في شهر مارس الماضي كسروا الاعمدة القائم عليها بالديناميت بعد عناء شديد فوقع الخزان على الارض سليماً وثقب الالمان ثقوباً في جوانبهِ وضعوا فيها الديناميت وحاولو نسفهُ بها فلم يفلحوا

بدل القطن والكتان والصوف

ادَّعى الالمان انهم اكتشفوا في نوع من البوص Typha الذي ينمو في المستنقعات اليافاً تقوم مقام القطن والكتان والصوف فتستغني المانيا بها عما تستوردهُ من هذه المواد . ويقال انهُ جمعت اموال طائلة من اصحاب معامل الغزل والنسيج ومن كبار التجار والماليين لعمل التجارب اللازمة قبل الشروع في زرع هذا النبات . والحاجة تفتق الحيلة ولكن ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ

جمعية علمية للحلفاء

انشأ الاستاذ جان مسّار الفرنسوي مقالة في المجلة العلمية الفرنسوية اشار فيها بتأسيس جمعية علمية من رجال الدول المتحالفة لتسهيل تبادل الكتب العلمية وتزاور العلماء ونشر الخلاصات العلمية وانشاء دور العلم

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

٢٠٩ السر هنري روسكو (مصوَّرة)

٢١١ الولايات المتحدة الاميركية والحرب

٢١٤ الحرب في الهواء

٢١٧ صفحة من تاريخ التجارة المصرية

٢٢٩ مغامز المعاجم العربية . لأمكج

٢٣٦ الحياة بعد الموت

٢٤٥ طرائف من ادب العرب . لنقيب

٢٥٢ التزوج بالاجنبيات . لامين افندي حنا نسيم دكتور في الطب

٢٥٩ الاطعمة المحفوظة . لفهيم افندي نجار الطالب بمدرسة الصيدلة في قصر العيني

٢٦٥ مصر منذ اربعمائة سنة (مصوَّرة) لديمتري افندي نقولا

٢٧٣ همة الانكليز في هذه الحرب (مصوَّرة)

---

٢٧٤ باب الزراعة * التعاون في الزراعة . زراعة البطاطس . مؤتمر الحبوب . كيف ينتقل الطاعون البقري في السودان . جمعيات التعاون الزراعي في الهند

٢٨٢ باب المراسلة والمناظرة * النهاية . دار السلام . البيراميدون والحميات . جبور الطبيب . اغاثة الفقير

٢٩٠ باب تدبير المنزل * ماذا نأكل . غرائب الامزجة والاذواق . معاش الامهات .

٢٩٦ باب التقريظ والانتقاد * تقويم الابدان لابن جزلة الطبيب . كتاب التفسير . الدولة العثمانية

٣٠١ باب المسائل * (مصوَّرة) وفيهِ ١٨ مسألة

٣٠٧ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٧ نبذة